يائية
عبد يغوث بن الحارث
الجاهلّي

البنية والدلالة

إعداد الدكتور

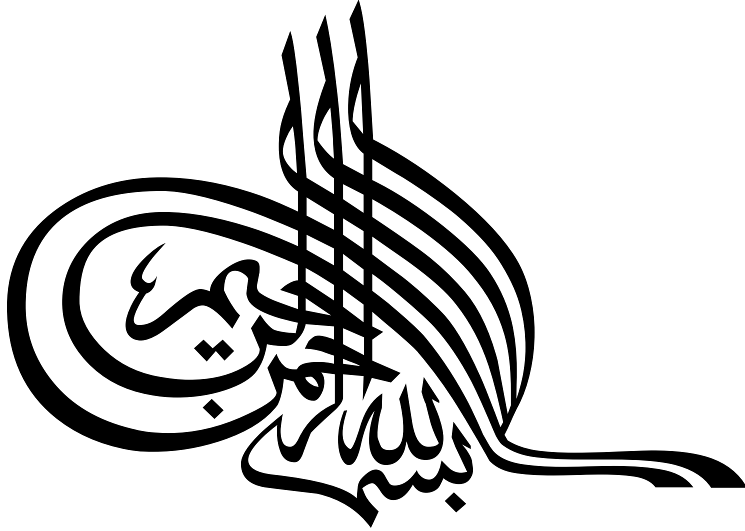
محمود ياسين عوض سيد شناوي

المدرس بقسم البلاغة والنقد

في كلية اللغة العربية بالقاهرة









مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان علـــى أفصـــح الخلق أجمعين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



وبعد....

فمن المعلوم أنّ الله ــ تعالى ــ شرّف العرب بأن أنزل القرآن بلســـانهم ، لذا كانت دراسة الشعر من الأهمية بمكان ؛ حيث إنه ديوان العرب ، ومستودع لغتهم ، من هنا اهتم السابقون بدراسته، وجعلوه مما يتقرب به إلى الله ؛ على حدّ ما بيّنه الشيخ عبد القاهر فى ردّه على من هوّن من شأن دراسته :" وذاك أنَّا إذا كنَّا نَعلم أنَّ الجهةَ التى منها قامَتِ الحجةُ بـــالقُرآنِ وظهـــرتْ، وبانَـــتْ وبَهرت، هيَ أنْ كانَ على حَدٍّ منَ الفَصاحةِ تقصرُ عنه قُوى البشرِ، ومُنْتهياً إلى غايةٍ لا يُطمَح إليها بالفِكر، وكان مُحالاً أن يَعرف كونَه كذلك ، إلا مَنْ عَـــرفَ الشعرَ الذى هو ديوانُ العَرب، وعنوانُ الأدب، والذي لا يُشك أنه كـــانَ ميـــدانَ القومِ إذا تجارَوْا فى الفَصاحة والبيان، وتنازَعوا فيهما قَصَبَ الرِّهان، ثم بَحث عنِ العِلَل التى بها كانَ التباينُ فى الفَضْل، وزادَ بعضُ الشعر على بعض كـــان الصادُّ عن ذلك صادَّاً عن أَن تُعرَف حجةُ الله تعالى، وكان مَثلُه مَثلَ مَن يتصدَّى للنّاسِ فيمنعُهم عَـــن أنْ يحفظـــوا كتـــابَ الله تعـــالى ويقومـــوا بـــه ويتلـــوه ويقرئُوه..........، فمَنْ حال بيننا وبين ما له كانَ حفْظُنا إيّاهُ، واجتهادُنا فى أن نؤدِّيَه ونَرعاه، كَان كَمن رامَ أن يُنْسيناه جُملةً ويُذْهبه من قلوبنا دَفعةً، فسواءٌ مَنْ منَعكَ الشيءَ الذى تنتزع منه الشاهد والدَّليل، ومَنْ منعَكَ السبيلَ إلى انتزاعِ تلك الدَّلالةِ، والاطّلاعِ على تلك الشَّهادةِ، ولا فرقَ بينَ مَن أعدمَك الدواءَ الـــذي

تَسْتَشفي به من دائك ، وتَسْتبقي به حشاشةَ[1] نَفْسك، وبينَ مَن أعدمَكَ العلْـم بأنَّ فيه شفاءً، وأن لك فيه استبقاء."[2]



لذا كان من الضروري لمن يشتغل بالبحث البلاغي أن يكثر من النظر في الشعر ، ولا سيما الجاهلي منه ؛ لما له من منزلة خاصة ؛ حيث إنّه الغاية التي يمكن أن يصل إليها شاعر .

وتأتي فكرة هذا البحث من كلمة قرأتها عند الجاحظ فى حديثه عن شاعر جاهلي يدعى عبد يغوث الحارثي ؛ إذ يقول :" وليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية."[3] وقوله : " وما قرأت فى الشّعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثيّ، وطرفة بن العبد، وهدبة هذا، فإنّ شعرهم في الخوف لا يقصّر عن شعرهم في الأمن . وهذا قليل جدّا."[4] ، فالرجل حكم بأن ليس فى الأرض أعجب من عبد يغوث وطرفة، وما قرأ شعرا كشعرهما وقت إحاطة الموت بهما .

---

(١)الحُشَاشة: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَرِيضِ.لسان العرب :حشش ، الناشر: دار صادر – بيروت
الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢)دلائل الإعجاز ٩، قرأه وعلق عليه أبو فهر: محمود محمد شاكر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٣)البيان والتبيين ١٨٤/٢ ،الناشر: دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، عام النشر: ١٤٢٣هـ

(٤)الحيوان ٩٣/٧ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

أمّا طرفة فحاله معلوم ، وشعره مشهور ، وأمّا عبد يغوث فشعره كان مجهولا بالنسبة لي، فقرأت عنه فوجدت أنّ كلَّ من ترجم له قد أجمع على تقدّمه في الشعر ، وأنّه لا يقل منزلة عن فحول الجاهلية ، ثم رأيت كثيرا من شعراء العربية أخذ منه ؛ كالنابغة الجعدي ، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي تمّام ، ثم لم أجد له شعرا إلاّ هذه القصيدة موضوع البحث ، والتى قالها وقت إحاطة الموت به ، فاتجهت إليها بالدراسة .



وقد جاء البحث فى مقدمة وتوطئة وتحليل للقصيدة وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع ؛ففى المقدمة ذكرت سبب اختيار الموضوع ، وخطته ، ومنهجه ، وفى التوطئة تحدثت عن الشاعر ؛ من جهة اسمه ونسبه ، وحياته، ووفاته ، ثم تحدثت عن آراء العلماء في شعره ، وعن الاغتراب وأثره ، ثم وقفت مع القصيدة فبيّنت غريبها ، وقد اعتمدت على المنهج التحليلي فى استخراج السمات البلاغية فيها ، كما اعتمدت على منهج المقارنة فيما أَخَذه ، أو أُخِذَ منه .

وبعد فإني أسأل الله ــ تعالى ــ التوفيق والسداد ، إنه حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .



توطئة وتشمل:

أوّلا:التعريف بعبد يغوث :

١. اسمه ونسبه .

٢. حياته ووفاته .

ثانيا: شعره وآراء العلماء فيه .

ثالثا : الاغتراب وأثره على شعره.

أوّلا: التعريف به

١ـ اسمه ونسبه:

هو عبد يغوث بن صلاءة ، وقيل عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة (وهو قول ابن الكلبي) ابن المعقل ، واسم المعقل ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن خلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. "(١)

٢ـ حياته ووفاته :

حياة عبد يغوث شأنها شأن شعره ؛ يكتنفها شيء من الغموض ؛ حيث لم تذكر كتب الأدب شيئا عن حياته إلاّ القليل الذى يتعلق بشاعريته ، وزعامته لقومه فى الحرب ، وقد أجمع كلّ من ترجم له على أنّه كان شاعراً من شعراء الجاهلية فارساً سيداً لقومه ؛ من بني الحرث بن كعب ، وكان قائدهم فى يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم ، وهو يوم اجتمع فيه بنو الحارث مع أحلافهم فِى

---

(١) ينظر ترجمته والتعريف به فى المصادر الآتية : نسب معد واليمن الكبير ٢٧٩/١، المحقق: الدكتور ناجي حسن ، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ٢٣٨، المحقق: الدكتور نصرت عبد الرحمن ، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان – الأردن ، الأعلام ١٨٧/٤ ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ، شعراء النصرانية ٧٥/١ ، الناشر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت ، عام النشر: ١٨٩٠ م

عَسْكَرٍ عَظِيمٍ بَلَغُوا ثَمَانِيَةَ آلَافٍ، وَلَا يُعْلَمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ جَيْشٌ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَسَارُوا يُرِيدُونَ بَنِي تَمِيمٍ ، وفى ذلك اليوم أُسِرَ عَبْدُ يَغُوثَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ وَقَّاصٍ الْحَارِثِيُّ رَئِيسُ مذْحِجٍ، فَقُتِلَ بِالنُّعْمَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَسَّاسٍ، وعبد يغوث من أهل بيت شعر معرق لهم فى الجاهلية والإسلام منهم اللجلاج الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة وأخوه مسهر فارس شاعر وهو الذى طعن عامر بن الطفيل.(١)



وعبد يغوث كان معروفا بالشجاعة والإقدام ، وهوأحد الجرارين ؛ "ويطلق على القادة الذين قادوا ألف رجل فما فوق بـ"الجرّارين".........،والعرب لم تكن تسمى الرجل جرارًا، حتى يرأس ألفًا. ....والجرّارون من اليمن: "كرز بن عبد الله بن عامر" من بجيلة، وعبد يغوث بن وقّاص بن صلاءة الحارثي"(٢)

وليس فى المصادر التي تحدّثت عنه ما يمدُّ الباحث بشيء عن حياته غير ماسبق ، كما لم تشر المصادر إلى سنّه عند وفاته ، والذى يمكن استنتاجه مما سبق ذكره ، أنّ الرجل مات فى شبابه ؛ أو إن شئت قلت لم يطعن فى السن ، حيث إنّه كان سيد قومه وقائدهم يوم حرب بني تميم ، ولا يتصور أن يقود الجيش فى ساحة القتال ، ويقاتل بنفسه إلاّ من كان فى سن الشباب ، وعلى كلّ هو اجتهاد قائم على النظر فى مجريات الأحداث .وكانت وفاة هذا الرجل يوم الكلاب الثاني بعد أن أسره بنو تميم وخُيِّر كيف يرغب أن يموت، فاختار أن يشرب الخمر ويقطع عرقه الأكحل، فمات نزفا ، سنة٤٠ ق هـ = ٥٨٤ م(٣)

---

(١)شعراء النصرانية ٧٥/١.

(٢)ينظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٧٩/١٠ ، ٨٠ ، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

(٣) ينظر: الأعلام ١٨٧/٤

ثانيا: شعره وآراء العلماء فيه

يعد عبد يغوث من شعراء الجاهلية المشهورين ، وإن كان ما وصلنا من شعره قليلا جدا ، لا يتناسب مع جودته التي كان يتمتع بها ، فالرجل كان ذا موهبة فذة فى قول الشعر ؛ يشهد بهذا يائيته التى هي موضوع الدراسة ، والتى قالها وقت إحاطة الموت به ، وقد ذكرت من قبل قول الجاحظ :" وليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية."(١) وقوله : " وما قرأت فى الشّعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثيّ، وطرفة بن العبد، وهدبة هذا، فإنّ شعرهم فى الخوف لا يقصّر عن شعرهم فى الأمن . وهذا قليل جدّا."(٢)

وقريبٌ من قول الجاحظ قولُ ابن رشيق :" ومن الشعراء من شعره فى رويته وبديهته سواء عند الأمن والخوف؛ لقدرته، وسكون جأشه وقوة غريزته: كهدبة بن الخشرم العذري، وطرفة بن العبد البكري، ومرة بن محكان السعدي؛ إذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير رجلاً من بني أسد بقتله:

بني أسدٍ إن تقتلوني تحاربُوا ... تميماً إذا الْحَرْب الْعوَان(٣) اشمعلت(٤)

---

(١)البيان والتبيين ٢/١٨٤

(٢)الحيوان ٩٣/٧ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

(٣)الحربُ العَوانُ التي كانت قبلها حرب بَكْر، وهي أوّل وقعةٍ، ثمّ تكون عَوَاناً كأنّها ترفع من حالٍ إلى حالٍ أشدَّ منها. العين : عون ،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال

(٤)اشمعلّت: انْتَشَرَتْ ، اللسان : شمعل .

وَلست وَإِن كَانَت إليّ حَبِيبَة ... بباكٍ على الدّنيا إِذا مَا تولت

وهذا شعر لو روي فيه صاحبه حولاً كاملاً على أمن ودعة وفرط شهوة أو شدة حمية لما أتى فوق هذا.وكذلك عبد يغوث بن صلاءة ؛ إذ يقول فى كلمة طويلة....... "[1] ، وذكر أبياتا من القصيدة

وقد بحثت فى كتب اللغة والأدب فوجدت كثيرا من أهل العلم يقدّم شعره ويستشهد به على قواعد اللغة ؛ مما يدل على أنّ شعره فى درجة عالية من الجودة ؛ وممن استشهد بشعره الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى ١٧٠هـ) فى كتابيه: "العين "، و"الجمل فى النحو" ، وسيبويه (المتوفى١٨٠ هـ) فى" الكتاب "، وأبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) فى" مجاز القرآن "، وابن قتيبة (المتوفى: ٢٧٦هـ) فى "أدب الكاتب "، و أبو العباس المبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) فى " المقتضب " ، و أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) فى " الأصول فى النحو" ، و أبو الفرج الاصفهاني (المتوفى :٣٥٦ هـ) فى " الأغاني " ، وأبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢هـ) فى " الخصائص " ، و" سر صناعة الإعراب "، و القاضي عبد العزيز الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) فى" الوساطة بين المتنبي وخصومه "، و أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) فى " الصحاح " ، وأبو بكر الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣هـ) فى " إعجاز القرآن "، والمرزوقي (المتوفى: ٤٢١ هـ) فى " شرح ديوان الحماسة" ، وابن سيده (المتوفى: ٤٥٨هـ)فى" المخصص "، و جار الله الزمخشري (المتوفى:

---

(١) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ١٩٣/١ ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

٥٣٨هـ) فى " أساس البلاغة " ، وأبو البركات كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) فى " الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين" ، وابن أبي الإصبع العدواني(المتوفى: ٦٥٤هـ) فى كتابيه:" تحرير التحبير"، و" المفصل فى صنعة الإعراب " ، وابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)فى " لسان العرب " ، وابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) فى" أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك " ، والزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) فى" تاج العروس "، وغير هؤلاء من أهل الأدب واللغة والتاريخ ، وسأذكر قول كلٍ فى موضعه الخاص به ؛ من الاستشهاد على مسألة نحوية ، أو مادة لغوية ، أو تفضيل شعر على شعر ، وهكذا مما له صلة بهذه الدراسة ، ولم أذكر أقوالهم هنا حتى لا يتكرر الكلام فى البحث ، فذكر الشاهد فى موضعه أجدى وأليق .



ومما يدعو للعجب أنّ شعر هذا الرجل ــ المتمثل فى هذه القصيدة ــ يكاد لا يخلو كتابٌ من كتب اللغة والأدب إلاّ وأخذ منه ، ومع ذلك لا تجد فى كتب الشعر شيئا له غير هذه القصيدة ، فحاله حال الكثير من تراث العربية الذى طالته يد الزمان ، فحالت بيننا وبينه ، فشعر الجاهلية الذى بين أيدينا وإن كان كثيرا "لكن ما يزال شعر كثير من شعراء العصر الجاهلي مبعثرًا فى شتى كتب الأدب والتاريخ، مثل عبد يغوث، وأبي قيس بن الأسلت، والحصين بن الحمام، وقيس بن عاصم، وجابر بن حني، وعبد القيس بن خفاف البرجمي، وهؤلاء الشعراء وأمثالهم ينتظرون من يلم شتات نتاجهم، ويجمع تراث كل منهم فى ديوان خاص."[١]

---

(١)فى تاريخ الأدب الجاهلي ١٧٢المؤلف: علي الجندي ، الناشر: مكتبة دار التراث، طبعة: دار التراث الأول١٤١٢هـ - ١٩٩١م

والحقيقة أنّ هناك من شعراء الجاهلية من يمكن جمع شتات شعره من بطون الكتب ، فشعرهم موجود وإن كان مبعثرا ، إلاّ أنّ الأمر مع عبد يغوث مختلف ، فقد بحثت فى أمهات الكتب ، من خلال وسائل البحث المتاحة الآن ، فلم أجد له فى أيّ مصدر غير هذه القصيدة وبيتين آخرين قالهما فى رجل يدعى الأهتم ، وهما :

أأهتم يَا خير الْبَرِيَّة والداً ... ورهطاً إِذا مَا النَّاس عدوا المساعيا

تدارك أسِيرًا عانياً فِي حبالكم ... وَلَا تثقفني التيم ألق الدواهيا

وهذا أمر محير جدا ؛ أن تجد شاعرا جاهليا بهذه المكانة الشعرية ، ولا تجد له غير هذا القليل المعدود ، أضاع شعره مع ما ضاع من تراث العربية ، أم أنّ هذا رصيده الشعري ؟

إنّ القول بأنّ هذا رصيده الشعري في النّفس شيء منه ؛ فهل من المعقول أن يقول الجاحظ :" وليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية."[١] وقوله : " وما قرأت فى الشّعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثيّ، وطرفة بن العبد، وهدبة هذا، فإنّ شعرهم فى الخوف لا يقصّر عن شعرهم فى الأمن . وهذا قليل جدّا."[٢] , ويكون هذا نتاجه فحسب ؟ إنّ الذى يقول الشعر فى وقت إحاطة الموت به ويكون على هذه الدرجة العالية من الجودة حتما يكون له أشعار أخرى فى أغراض كثيرة، وقول الجاحظ " إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن

(١)البيان والتبيين ٢/١٨٤

(٢)الحيوان ٧/٩٣

دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية" يثبت أنّ للرجل شعرا غيرهــذه القصيدة ، إنّ الذى يقرض الشعر وهو منتظر للموت أيسر عليه أن يكثر منه فى أمنه ورفاهيته ، وربما لو وصلنا كلُّ شعره رأينا فحلا من فحول الجاهلية لا يقل شعره جودة عن امرئ القيس وطرفة وعنترة.



فالرجل كان ذا بديهة فذة في قول الشعر ، حتى رأيت ابن رشيق يقدمه في هذا الأمر على أبي الطيب المتنبي ؛ إذ يقول :" وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال ، إلا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جداً، وهو لعمري في سعة من العذر؛ إذ كانت البديهة كما قال فيها ابن الرومي:

نارُ الرَّويّةِ نَارٌ جد منضجة ... وللبديهة نارٌ ذات تلويح

وقد يفضلها قومٌ لسرعتها ... لكنها سرعة تمضي مع الريح

......ومن الشعراء من شعره في روّيته وبديهتــه ســواء عنــد الأمــن والخوف ؛ لقدرته وسكون جأشه وقوة غريزته : كهدبة بن الخشرم العــذري ، وطرفة بن العبد البكري ، ومرة بن محكان السعدي.........وكذلك عبد يغــوث بن صلاءة ؛ إذ يقول فى كلمة طويلة..... "[١] وذكر القصيدة

فإذا كان عبد يغوث بديهته سواء عند الأمن والخوف ، فمن الطبيعــي أن يكون له شعر كثير فى كلِّ الأغراض التى يمكن القول فيها ، بل ســيظهر مــن خلال الدراسة أنّ كبار الشعراء أخذوا من عبد يغوث ؛ كالنابغة الجعدي ، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي تمام وغيرهم ، وأخذ هو من امرئ القيس ، وكلّ هــذا

---

(١) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/١٩٣ ، المحقق: محمد محيي الدين عبــد الحميد ، الناشر: دار الجيل ، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هــ – ١٩٨١ م

سيظهر ــ إن شاء الله تعالى ــ من خلال الدراسة .

والسؤال الذى لا أجد له إجابة : لِمَ لم يذكر أهل العلم لعبد يغوث غير هذه القصيدة ؟



أهي نتاج الرجل من الشعر فحسب ؟ أم له شعر لم يصل إليه أحد ؟ ومن يدري ؟ لعل المستقبل يكشف لنا عن ديوان شعري كبير لهذا الشاعر ، ويخرج لأبناء العربية كنزا ثمينا من كنوزها

ثالثا:الاغتراب وأثره على شعره

من المعلوم أن الشعر وليد التجربة ؛ يتأثر الشاعر بها ، فتجد صداها فى الكلام ، حزنا وحرقة ولوعة إذا كانت التجربة حزينة ، وفرحا وشوقا وحنينا إذا خرجت من معين هذه المشاعر ، والاغتراب من أخصب المشاعر التى تحرك الشعراء ؛ فهي تجربة صادقة يعيش فيها الشاعر، تثير قريحته ، وتلهب مشاعره ؛ لما لهذه التجربة التى يعاني فيها المرء من بعد عن الوطن ، وإحساس بلوعة الفراق ، من أثر على نفس القائل والمتلقي معا ، " فأدب التجارب هو الصادر عن إحساس صادق ، وشعور صحيح ، والقادر على أن يعمل عمله فى إحساس الآخرين وشعورهم ؛ بما توافر لتجربة الأديب ــ علاوة على الصدق ــ من سمة العمومية ، تلك السمة التى تجعل الآخرين شركاء فى التجربة ، وكأنّ الإحساس إحساسهم ، والشعور شعورهم ، والفكرة فكرتهم ، والقضية قضيّتهم ، فالتجربة الأدبية لابد لها من الصدق أوّلا ، ولابد لها من التأثير فى الآخرين "(١)

والشعر العربي منذ الجاهلية حافل بهذا النوع من الشعر ؛ الذى يأتي فى وقت يبعد فيه الشاعر عن وطنه ؛ لأسر ، أو حرب ، أو ضرب في الأرض لأي غرض من أغراض الحياة ، والمعاناة التى يعاني منها الشاعر فى غربته شديدة ، يقول أهل العلم فى حديثهم عن الغربة والبعد عن الأوطان :" الغربة كربة، والفرقة حرقة.وقال بعض الحكماء: الغريب كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه ، فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر.ويقال: الغريب كالوحش النائي

(١) فى الأدب واللغة : أحمد هيكل ١٦، ١٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب



عن وطنه، فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة."[1] ، ويقــول الجــاحظ فــي رسالته " الحنين إلى الأوطان ":" إنَّ السبب الذى بعث على جمع نتفٍ من أخبار العرب فى حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى ترابها وبلــدانها، ووصــفها فــى أشعارها توقُّد النار فى أكبادها، أنِّى فاوضت بعض من انتقل من الملوك فى ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهــد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه. ولم يزل عظيم الشأن جليــل السلطان ، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شــعوب العجــم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابــه إلا راغــبٌ إليه، أو راهبٌ منه؛ فكان إذا ذكر التُّربة والوطن حنَّ إليه حنــين الإبــل إلــى أعطانها، وكان كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرتُ الثَّغرَ فاضَت مَدَامِعي ... وأضحى فؤادي نُهبةً للهماهمِ[2]

حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربي ... وحُلَّت بها عنِّي عقود التمائمِ

وألطف قومٍ بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهُم للمرء حقّ التقادمِ

وكان يقال: أرض الرجل ظئره، وداره مهده. والغريب النائي عــن بلــده، المتنحّي عن أهله، كالثور النادِّ عن وطنه، الذي هو لكلِّ رامٍ قنيصة ."[3] ، فــإذا كان هذا الغريب الذى حدّثنا عنه الجاحظ قد عاش في غربته عظيم الشأن جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومــن شــعوب العجــم

---

(١)اللطائف والظرائف ٢٣٠ ، الناشر: دار المناهل، بيروت

(٢) الهماهم : الهموم ، اللسان :همم.

(٣) رسائل الجاحظ ٣٨٤/٢، ٣٨٥ ، تحقيق وشرح: عبد الســلام محمــد هــارون ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، عام النشر: ١٣٨٤ هــ – ١٩٦٤ م

أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه، أو راهبٌ منه، إذا ذكر التُّربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها ، فما بالنا بمن ترك وطنه ووقع فى الأسر ، وشُدّ لسانه ، وصار للموت أقرب من الحياة .



إنّ الذى يكون على تلك الشاكلة من الغربة والأسر وانتظار الموت لابد أن تتحرك مشاعره ، وتتفجر ينابيع الكلم عنده ، يقول الجاحظ :" ما فكّر فيلسوف قط إلا رأى الغربة أجمع لهمّه وأجود لخواطره."[١]

وعبد يغوث بن وقاص الجاهلي أحد الشعراء الذين عانوا مرارة الأسر ، وكان شعره فى هذا الجانب لا يجارى ، وهو ما ستظهره الدراسة إن شاء الله تعالى .

---

(١)الحيوان ١٤٩/٧، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ ه

القصيدة

قال عبد يغوث بن وقاص الحارثي:[1]



١ - ألاَ لا تَلُومَانِي كَفى اللَّوْمَ ما بِيَا ∴ وما لَكُما في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا

٢ - ألَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ∴ قليلٌ وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا

٣ - فَيَا راكبا إمّا عَرَضت فَبلِّغَنْ ∴ نَدامَايَ مِن نَجْرَانَ أنْ لا تَلاَقِيَا

٤ - أبَا كَرِبٍ والأيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا ∴ وقَيْساً بِأعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليمَانِيَا

٥ - جَزَى اللهُ قَوْمِي بالكُلاَبِ مَلاَمَةً ∴ صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المَوَالِيَا

٦ - ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي مِن الْخَيْلِ نهدةٌ ∴ ترى خَلْفَها الحُوَّ الْجِيادَ تَوَالِيَا

٧ - ولكِنَّنِي أحْمِي ذِمارَ أبِيكُمُ ∴ وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا

٨ - أقُولُ وقد شَدُّوا لساني بِنِسْعَةٍ ∴ أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطْلِقُوا عن لِسَانِيَا

٩ - أمَعْشَرَ تَيْمٍ قد ملكتم فأسجحوا ∴ فإن أخاكمْ لم يَكُنْ مِن بَوَائِيَا

١٠ - فإنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِيَ سيدا ∴ وإن تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا

١١ - أحقًّا عِبَادَ اللهِ أن لست سامعا ∴ نشيدَ الرُّعَاءِ المُعْزِبِينَ المَتَالِيَا

---

(١)المفضليات ١٥٥ ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة



١٢ - وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عبْشَمِيَّةٌ ∴ كأنْ لَمْ تَرَى قبْلِي أسِيراً يمَانِيَا

١٣ - وظَلَّ نساءُ الحَيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً ∴ يُرَاوِدْنَ مِنِّي ما ترد نِسَائِيَا

١٤ - وقد علِمَتْ عرْسِي مُلَيْكَةُ أنَّنِي ∴ أنَا اللَّيْثُ مَعْدُوًا عليَّ وعادِيا

١٥ -وقد كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومعمل ال ∴ مطي وأمْضِي حَيْثُ لا حَيَّ مَاضِيَا

١٦ - وأنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيَّتِي ∴ وأصْدَعُ بَيْنَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا

١٧ - وكنْتُ إذا ما الْخَيْلُ شَمَّصَهَا القَنَا ∴ لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا

١٨ - وعادِيَةٍ سوم الجراد وزعتها ∴ بِكَفِّي وقد أنْحَوْا إليَّ العَوَالِيَا

١٩ - كأنِّيَ لم أرْكَبْ جَوَاداً ولم أقُلْ ∴ لِخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسِي عن رجاليا

٢٠ - ولم أسبإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقل ∴ لأيسار صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ ناريا

مناسبة القصيدة

ذكر أهل العلم أنّ هذه القصيدة عدتها عشرُون بَيْتا لعبد يَغُوث الْحَارِثِيّ اليمني. قَالَهَا بعد أَن أسر فِي يَوْم الْكلاب الثَّانِي: كلاب تيم واليمن ، وَقتل أَسِيرًا.........وكَانَ الَّذِي أسر عبد يَغُوث فَتى من بني عبد شمس أهوج ، فَقَالَت أمه: مَن هَذَا فَقَالَ عبد يَغُوث: أَنا سيد الْقَوْم ، فَضَحكت وَقَالَت: قبحك الله من سيد قوم حِين أسرك هَذَا الأهوج. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ بقوله: وتضحك مني شيخة عبشمية. . الْبَيْت فَقَالَ: أيتها الْحرَّة هَل لَك إِلَى خير قَالَت: وَمَا ذَاك ؟ قَالَ: أعْطِي ابْنك مائَة من الْإِبِل وينطلق بِي إِلَى الْأَهْتَم فَإِنِّي أَخَاف أَن تنتزعني سعدٌ والرباب مِنْهُ فضمن لَهَا مائَة من الْإِبِل وَأرْسل إِلَى بني الْحَارِث فوجهوا بهَا إِلَيْهِ فقبضها العبشمي وَانْطَلق بِهِ إِلَى الْأَهْتَم فَقَالَ عبد يَغُوث:

أأهتم يَا خير الْبَرِيَّة والداً ... ورهطاً إِذا مَا النَّاس عدوا المساعيا

تدارك أَسِيرًا عانياً فِي حبالكم ... وَلَا تثقفني التيم ألق الدواهيا

فمشت سعد والرباب إِلَى الْأَهْتَم فِيهِ فَقَالَت الربَاب: يَا بني سعد قتل فارسنا وَهُوَ النُّعْمَان بن جساس وَلم يُقتل لكم فَارس فَدفعهُ إِلَيْهِم فَأَخذه عصمَة بن أبير التَّيْمِيّ فَانْطَلق بِهِ إِلَى منزله فَقَالَ عبد يَغُوث: يَا بني تيم اقتلوني قتلة كَرِيمَة فَقَالَ عصمَة: وَمَا تِلْكَ القتلة قَالَ: اسقوني الْخمر ودعوني أنوح على نَفسِي فَجَاءَهُ عصمَة بالشراب فَسَقَاهُ ثمَّ قطع عرقه الأكحل وَتَركه ينزف وَمضى وَجعل مَعَه رجلَيْنِ فَقَالَا لعبد يَغُوث: جمعت أهل الْيمن ثمَّ جِئْت لتصطلمنا كَيفَ رَأَيْت

صنع الله بك فَقَالَ هَذِهِ القصيدة.[١]

وسيظهر ــ إن شاء الله ــ فى الصفحات القادمة ــ من خلال تحليل القصيدة ــ حسن ترابطها مع تلك المناسبة ، وبراعة تجسيد الأبيات لتلك الأحداث .



(١) وردت القصيدة ومناسبتها في كثير من المصادر منها : الكامل فى التاريخ ٥٥٥/١، نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ٢٣٨ ، شعراء النصرانية ٧٥/١، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٧٩/١٠ ، ٨٠ ،
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ١٩٧/٢، ١٩٨تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة : الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

تحليل القصيدة

في الصفحات القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ أقوم بتقسيم القصيدة وتحليلها وفق ما ورد فيها من معان ، وهي على النحو التالي :

لوم وعتاب.

هذا المعنى يمثّله قوله :

١ - ألاَ لا تَلُومَانِي [1] كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا ... وما لَكُما في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا

٢ - أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ... قليلٌ وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا[2]

بدأ الشاعر كلامه بنهي مخَطَابَيْه عن لومه وعتابه ؛ فلا جدوى من اللوم الآن ، فلا خير لهما ولا له فيه ، فيكفيه لوما وعتابا ما نزل به من الأسر ، وانتظار الموت ، وكيف تلومان الرجل وقد كان لا يعرف للوم طريقا ؟ فلم يكن لوم الإخوان من شمائله .

وقد استهل عبد يغوث قصيدته بأروع ما يكون الاستهلال ؛ حيث صدّرها بأداة الاستفتاح "ألا " والتى تفيد التنبيه والإثارة ؛ وفى ذلك لفت للمخاطب ، وإثارة له ، وتنبيه إلى أنّ ما يُلقى عليه ذو أهمية بالغة يفتقر من المخاطب إلى مزيد من العناية به ، فإذا ما جاء بعد حرف التنبيه أمرٌ أو نهي صادف نفسا يقظة ، فيقع الطلب منها موقع الإصابة والقبول ، وفرق بين كلام يوجّه إلى نفس يقظة متشوقة ، وآخر يوجّه إلى نفس لاهية غافلة ، إنّ الأوّل أحرى

---

(١)اللَّوْم: المَلامةُ، والفعْلُ: لامَ يَلومُ. ورَجُلٌ مَلُومٌ ومَليم: قد استحقّ اللَّوْم. العين : لوم

(٢)الشِّمال: الطَّبْع، وَالْجَمْعُ شَمَائِل

بالقبول ، فاستفتاح الكلام ب " ألّا " دليل على أهمية ما يأتي بعدها ، فلا مجال للتقصير فيه .



ولمّا هيّأ عبدُ يغوث مخاطبَيْه وجه لهما أسلوب النهي " لا تَلُومَانِي " ، وهذا النهي يعكس حال الرجل ، وأنه غير آسف ولا نادم على أمرٍ وقع منه ، وأنّ الذى حلّ به من الأسر وانتظار القتل وشدّ للسانه أشد من اللوم والعتاب ، فمثله لا يُلام فى هذا المقام ، فلا جدوى من اللوم والعتاب ، فإن كنتما تلومانني على أسري ، فأنتما أحق باللوم منّي ؛ حيث تركتما نجدتي ، ورضيتما باللوم ، يقول أبو منصور الجواليقي فى شرحه " أدب الكاتب " : "وقوله لا تلوماني نهى عاذليه عن لومه يقول : ما نزل بي من الهم قد زاد على اللوم فإذا لمتماني بعد وقوع الحادثة لم يُجْدِ لومكما نفعا ، ولم تنفعا به ، والملامة بعد وقوع المكروه نفعها قليل ، فلا تلوماني على ترك الحزم والتأهب لوقوع الحادثة فإني لا ألومكما على تخاذلكما وتأخركما عني فليس أخلاقي لوم الإخوان "(١)

وفى قوله :" كَفى اللَّوْمَ ما بِيَا " تقديم للمفعول به فـــ " اللوم مفعول مقدم ومَا فَاعل مُؤخر. أَي: كفى اللوم مَا أَنا فِيهِ فَلَا تحتاجون إِلَى لومي مَعَ مَا ترَوْنَ من إساري وجهدي."(٢) ،وبلاغة هذا التقديم ترجع إلى أنّه الأهم والمقصود بالإفادة ، كما أنّ فيه محافظة على الإيقاع ؛ إذ لو قال :"كفى ما بيا اللوم " لاختل نغم البيت وموسيقاه.

---

(١) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ١٣٩ ، لأبي منصور الجواليقى ، قَدَّمَ له: مصـــطفى صادق الرافعي ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت

.(٢)خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ١٩٧/٢

هذا وقد جاء الشاعر بالمسند إليه الفاعل موصولا "ما بِيَا " ، دون أن يقول: "كفي اللوم أسري ..... " ؛ صونا للسانه عن ذكره في هذا المقام ، لأنّه أمر مكروه للنفس ، ففى ذكره تذكير له بالأسر والقتل ، والرجل يريد ما يتسلى به عمّا يعانيه ، كما أنّ الموصول يجعل النفس تذهب فى حال الشاعر كل مذهب.فكان ذكر الموصول أوجز وأبلغ .



وقد فصل الشاعر بين جملة " **كَفى اللَّوْمَ ما بِيَا** " ، وما قبلها " **ألاَ لا تَلُومَانِي** " ؛ لما بينهما من كمال الانقطاع ؛ حيث إنّ الجملة الأولى إنشائية لفظا ومعنى ، والثانية خبرية لفظا ومعنى ، والفصل بينهما لا يوهم خلاف المراد ، وبلاغة الفصل تتمثل فى تأكيد الحكم وتقريره؛ حيث إنّ الفصل فى اللفظ دليل على الفصل في المعنى بينه وبين اللوم ، فمثله لا يلام أبدا.

وقد يكون الفصل لشبه كمال الاتصال ؛ حيث أثارت الجملة الأولى سؤالا ، لِمَ لا نلومك ؟ فجاءت الثانية " **كَفى اللَّوْمَ ما بِيَا** " جوابا عن هذا السؤال ، والفصل بين جملة السؤال الذى يُفهم بالفحوى وجوابها إنّما يكون لنكتة ؛ هي أنّ السؤال فيه لفت للذهن وإثارة للمخاطب ، وتنبيه له إلى ما هو أولى ؛ من ترك اللوم الذى لا جدوى منه ، كما أنّ السؤال يجعل المخاطب يحرك الكلام فى ذهنه فيعلم الخطأ الذي وقع فيه ، كما أنه يجعل المتكلم بمنزلة السائل والمجيب فى آن واحد ، فلا يدع فرصة للمخاطب أن يتكلم ، ويسمع منه ما يكره ، وفيه من الإيجاز مافيه ، ولا شك أنّ المقام يستدعي هذا كلّه ويطلبه ، وقد أشار أبو يعقوب السكاكي إلى السرّ فى تنزيل السؤال بالفحوى منزلة السؤال الصريح فقال:" وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلاّ لجهات لطيفة ، إما لتنبيه السامع على موقعه ، أو لإغنائه أن يسأل ، أو لئلا يسمع منه شيء،

أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه،أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو غير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك."[١] .والفصل لشبه كمال الاتصال أولى في هذا المقام من غيره ؛ لأنه يتفق والغرض المسوق له الكلام ؛ من التنبيه والإثارة ، وبيان خطأ المخاطب ، إضافة إلى ما فيه من الإيجاز ، كما سبق بيانه .



وفى قوله : " **كَفى اللَّوْمَ ما بِيَا ... وما لَكُما فى اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا** " وضع للظاهر موضع الضمير؛ حيث كان يكفي أن يعيد اللوم بضميره فيقول :" وما لَكُما فيه خَيْرٌ ولا لِيَا " ، ولكن جاء بالظاهر موضع الضمير لنكتتين ؛ لفظية تتمثل فى المحافظة على وزن البيت ، وأخرى معنوية ؛ تتمثل فى بيان إكثار المخاطب من لوم الشاعر ، فكان ذكره بمثابة التأكيد على فعل المخاطب ، كما أنّ فيه تأكيدا على نفي فائدة اللوم فى هذا المقام ، فتسليط نفي الخير عن اللوم الظاهر أشد أثرا وأوقع على النفس من تسليطه على ضميره .

وقد قدّم ما يتعلق بالمخاطب " **لَكُما** " على ما يتعلق بالمتكلم " **ليا** " ؛ لأنّ الخطاب إليهما ، واللوم والعتاب كان منهما ، فناسب ذلك أن يُقَدِّم ذكرَهما على نفسه ، فهما المعنيّان بالكلام .ولتأكيد نفي فائدة اللوم جاء بالخبر نكرة ، حتّى يقطع على المخاطب أيّ أمل فى رجائه الخير من هذا اللوم .

هذا وقد أخذ هذا المعنى بوزنه وقافيته وشيء من لفظه صخر بن عمرو بن الشريد ــ أخو الخنساء ــ جاء ذلك فى كتاب " الكامل " للمبرد ، حيث قال :

---

(١)مفتاح العلوم ١٥٢، ١٥٣ ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

" وقال صخر بن عمرو بن الشريد، يعني معاوية أخاه، وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المرّيان من غطفان، فقيل لصخر: اهجهم، فقال: ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء، ولو لم أمسك عن هجائهم إلا صوناً لنفسي عن الخنا لفعلت ثم قال:(١)

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول: ألا تهجو فوارس هاشم ... وما لي إذا أهجوهُم ثم ما ليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

فهل هذا يعد من قبيل السرقة ؟ أو هو من المعاني المشتركة ، التى يقع عليها الجميع ؟

قضية السرقات الشعرية من أخصب القضايا التي تكلم فيها أهل العلم بالشعر، وبيّنوا أنّ المعاني مشتركة بين الجميع لهم الحق فى تداولها ، غير أنّ هناك معاني خاصة يظفر بها البعض ، فإذا قال بها غيره فهذا من باب السرقة.

والسرقات الشعرية داء لا يسلم منه إلاّ القليل ، حتى الفحول من الشعر وقعوا فيه ، يقول ابن رشيق :" وهذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل "(٢)

بل شدد ابن الأثير فى هذالجانب فقال :" والذى عندي فى السرقات أنه

---

(١)الكامل في اللغة والأدب ١٣١/١ ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٢) العمدة ٢٨٢

متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الأول فى معنى من المعاني، ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته."[١]



وكلام ابن الأثير فيه شيء من الشدة ؛ حيث جعل لفظة واحدة يأخذها الثاني من الأوّل فى نفس المعنى دليلا على السرقة ، والأخذ من عبد يغوث فى هذه الأبيات بيّن ، حيث أخذ صخرٌ كثيرا من معانيه وألفاظه ، والتزم وزنها وقافيتها ، غيرأنّ كلام عبد يغوث أوجز وأحكم وأتم فى الغرض من كلام صخر؛ حيث صدّر عبد يغوث كلامه بـ"ألا " فجذب المخاطب وأثاره فى مطلع كلامه ، أما صخر فقد جاء بها فى الشطر الثاني ، فلم يكن لها من الأثر ما كان عند الحارثي ، كما أنّ بيت عبد يغوث يحمل من المعاني أكثر من بيت صخر ؛ فقد نهى عن اللوم ، وبيّن أن لاخير فيه ، لا له ولا للمخاطب ، أما صخر فلم يزد عن قوله :" **لا تلوميني كفى اللوم ما بيا** " دون إشارة إلى نفي الخير عن اللوم، وبيان قلة جدواه ، كما جاء عند الحارثي.

ولا يخفى على القارئ الأثر الذى ترتب على التصريع فى البيت ، وما يحمله من مشاعر حزينة ، كذلك شيوع حروف المد فى هذا البيت والبيت الذى بعده ؛ وهذه الحروف تساعد على مدِّ الصوت وبسطه ، وفى ذلك تنفيس للشاعر عما يعانيه من ألم الأسر ، ومعاينة الموت ، يقول الدكتور زكريا عبد المجيد [٢] :"ومن البدهي أن هذه الحروف تناسب الرثاء والحزن والنواح ، وتنضاف إلى قافية القصيدة ، وتتكاتف معها لتحقيق هذه الغاية ، خذ مثلا

---

(١)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢٢٢/٣ ، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة.
(٢) أستاذ الأدب فى كلية اللغة العربية بالقاهرة

"تلوماني " التي جمع فيها حروف المد الثلاثة ، واقرأها مع أداة النهي "لا" تجدها أدّت معاني كثيرة ؛ مثل : اسكتا ، حسبكما ، كفاكما ، لست خلوا ، لست مستعدا لسماع أي شيء......إلخ .فكل هذه المعاني أغنت عنها لا تلوماني "[(١)].

وبعد أن بدأ عبد يغوث قصيدته تلك البداية الرائعة ، فجذب الأنظار ، وهيّأ الأسماع ، ونهى عن اللوم ، وبيّن أنّه لا جدوى منه ، أتبع ذلك بقوله :

أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ... قليلٌ وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا

البيت السابق يسير فى ركب البيت الأوّل ، ويشد من أزره ؛ فبعد أن ذكر فى البيت الأوّل أنّ اللوم لا خيرفيه لا لهما ولا له، زاد هذا المعنى تأكيدا بالبيت الثاني ، والاستفهام السابق :" **أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ... قليلٌ**" قُصد به التوبيخ والذم للمخاطب ؛ حيث إنّه من المعلوم أنّ اللوم فى مقام كهذا لا يليق بأي حال من الأحوال ، أتلومان الرجل على شجاعته وثباته فى الحرب ، فالذى يستحق اللوم والذم أنتما لا الشاعر ، فكان من الواجب أن تكرما فارسا شجاعًا كهذا ، أو أنّ تُسْمِعَاه ما يخفف عنه ألم الأسر وانتظار القتل ، ومجيء الذم عن طريق الاستفهام المجازي أبلغ وأوجه من التصريح به ، فالرجل يعلم أنّه لا شوكة له الآن ، فهو أسير مقيد بينهم ، فليس من العقل أن يصرّح الآن بما فيه ذمهم ، فالاستفهام أفاد التوبيخ والذم ، ولا تقام على قائله حجة .

كما يفيد الاستفهام التقرير ؛ بمعنى توكيد الحكم وتثبيته ، وتأكيد الكلام بالاستفهام فى هذا المقام أبلغ ؛ حيث جمع بين التأكيد والذم للمخاطب ، وهذا هو الغرض المسوق له الكلام .

---

(١) مصرع فارس فى بلاد الغربة ١٢١ ، دكتور زكريا عبد المجيد ، الناشر مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى :١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م



وكلمة " **قليلٌ**" قد تثير هنا إشكالا ، حيث إنّ الشاعر فى البيت الأوّل قد نفى الخير عن اللوم ، وبيّن أنّه لا جدوى منه ولا فائدة ، فكيف يقرّر هذا ثم يذكر :" **أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ... قليلٌ** " ، فالإخبار عن الملامة بأنّ نفعها قليل لا ينسجم و مراد الشاعر ؛ لأنّ كلمة " **قليلٌ** " تفيد أن للملامة نفعا ثابتا ولو كان قليلا ، والسياق يقتضي نفي النفع بالكلية ، وتحمل كلمة " **قليلٌ** " على أنها بمعنى النفي ، وقد ذهب إلى هذا عبد القادر البغدادي فى شرحه " شافية ابن الحاجب " حيث قال :" وقليل: ضد كثير، ويستعمل بمعنى النفي، وهو المراد هنا، بدليل قوله: " **فما لكما فى اللوم خير ولا ليا** " يقول: اللوم على الفائت قليل نفعه لا يُجْدِي إسماعه ولا سمعه شيئاً ؛ فلذلك طهرت منه شمالي وصنت عنه مقالي "[١] ، وعلى هذا يذهب الإشكال من الكلمة ، وتكون مفيدة لتأكيد نفي الخير عن الملامة .

ولا يخفى سرّ الارتقاء من نفي جدوى اللوم ، ثم إثبات قلة نفعه ، ونفي كونه من محاسن الأخلاق ، وأنّ هذا يكمن فى التصعيد ، والمبالغة فى النّهي ، والإمعان فى الكفّ عن اللوم ، وبيان أنّه ليس من طبع الأفاضل .

ويمكن حمل البيت على أسلوب عكس الظاهر ؛ وهو أن تذكر كلاما يدل ظاهره على أنه نفي لصفة الموصوف، غير أنّه نفي للموصوف أصلًا. كما في قول امرئ القيس يصف طريقا :

---

(١)شرح شافية ابن الحاجب ، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب١٣٧/٤، تحقيق الأساتذة: محمد محيى الدين عبد الحميد ، محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

على لاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بمَنارِهِ..... إذا سافه العود النّباطيّ جرجرا[1]

فظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق، ونفى الهداية به ، والحقيقة لا اهتداء ولا منار؛ إذا لو كان هناك منار لاهتدى به .وبلاغته فى هذا المقام التعريض بالمخاطب ، ومجاراته من جهة أخرى ؛ حيث أوهمه أنّ الملامة نفعها قليل ، ثم يبيّن أن لا خير فيها البتة.

وقوله : " **وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا** " خبر الغرض منه أمران ؛ التعريض بالمخاطب ، على تخاذله ولومه له فى هذا المقام ، والتنبيه على منزلة الشاعر، وأنه ليس ممن يلوم أخاه.

وقوله : "**شماليا**" المراد بها الطبع ؛ أي ليس من طبعي أن ألوم أخي ، و كلمة "**شماليا**" تستعمل مفردا وجمعا ، وقد ذكر سيبويه في حديثه عن صيغة " فِعال " أنّها تأتي بمعنى المفرد و الجمع ، يقول :" وأما فِعالٌ فبمنزلة فعالٍ..........وزعم أبو الخطاب أنهم يجعلون الشمال جمعاً، فهذا نظيره. وقالوا: شمائل كما قالوا: هجائن[2]

---

(١) اللاحب: الطريق البيّن الذي لحبته الحوافر، أي أثرت فيه فصارت فيه طرائق وآثار بينة. ولاحب بمعنى ملحوب كما في " عيشة راضية " ، لا يهتدي بمناره، أي ليس فيه علم ولا منار فيهتدي به. ، والعود: المسنّ من الإبل: والنّباطي، بفتح النون: المنسوب إلي النبط، كما قيل في المنسوب إلى اليمن يماني، والنباطي من الإبل أشدّها وأصبرها. جرجر: صوّت ورغا، وذلك لبعده وما يلقى من مشقته.، البرصان والعرجان والعميان والحولان ٤٨٠ ، الناشر: دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ

(٢)الهِجانُ مِنَ الإبل البيضاءُ الخالصةُ اللونِ اللسان : هجن .

وقالوا: درعٌ دلاصٌ[١] وأدرعٌ دلاصٌ"(٢) ، وقد استدل المبرّد ببيت عبد يغوث على ماذهب إليه سيبويه ؛ إذ يقول: "قَالَ الشَّاعِر:

ألمْ تَعْلَما أنَّ المَلامَةَ نَفْعُها ... قليلٌ وَمَا لَوْمِي أخي مِنْ شِماليا

يُرِيد من شمائلي فَجمع فعالا على فعال "[٣] ،وكذلك ابن جني ؛ حيث يقول :"وجودك جموعًا كسرت الآحاد عليها واللفظ فيهما جميعًا واحد، وذلك نحو ما حكاه سيبويه من قولهم: "ناقةٌ هِجان ، ونوقٌ هِجان ، و"دِرْعٌ دلاص ، وأدرعٌ دلاص" وقالوا أيضًا في جمع "شِمال" وهي الخليقة والطبع: "شِمالٌ". قال عبد يغوث:

.... وما لَوْمي أخي من شِمالِيا

أي: من شَمائلي."[٤]

من خلال الكلام السابق يتبيّن أن " شمال " تستخدم مفردا وجمعا ، وقد استدلوا ببيت عبد يغوث على هذا ، لكنّهم لم يوجهوا معناه فى هذا المقام ، أهو الإفراد أم الجمع ، وأيّهم أولى بالمقام ، أم أنّ المعنيين هنا سواء ، دون تقديم لأحدهما على الآخر .

---

(١)دِرعٌ دِلاصٌ: بَرَّاقَةٌ مَلْسَاءُ لَيِّنَةٌ ، اللسان : دلص .

(٢) الكتاب٢/٦٣٩ ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة , الطبعة: الثالثة،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٣)المقتضب ٢/٢٠٦ ، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة ، الناشر: عالم الكتب. – بيروت .

(٤)سر صناعة الإعراب ٢/٢٨٥ ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

أقول : إنّ المقام مقام تعريض بالمخاطب على صنعه من جهة ، وتأكيد على أنّ الشاعر يحمل من صفات الخير ما يحمل ، والأنسب أن تُحْمل "شِمال " على معنى الجمع ؛ بمعنى : لي من صفات الخير الكثير والكثير ، ومنها أنّي لا ألوم أخي على شيء صدر منه ، فلا جدوى من لومه وتأنيبه ، ولو حَمَلْتها على معنى المفرد ، ما كان فى كلامه إشارة إلى باقي صفاته ، يؤكد هذا ما قاله ابن سيده(المتوفى: ٤٥٨هـ) ؛ حيث ذكر بيت عبد يغوث السابق :



ألم تَعْلَما أنَّ المَلامة نَفْعُها ... قليلٌ وَمَا لَوْمِي أخِي من شِمَالِيَا

ثم علّق عليه قائلا :" شِمَال هاهُنا جمْع "(١) ، وبه قال ابن حجة فى شرحه شافية ابن الحاجب ، حيث قال:" وَهَذَا الْبَيْت من أَبْيَات شرح الشافية للشَّارِح نقل فِيهِ عَن أبي الْخطاب: أَن شمالاً يَأْتِي مُفردا وجمعاً وَفِي هَذَا الْبَيْت جمع أَي: من شمائلي."(٢)

---

(١)المخصص ١٣٥/٣ ، المحقق: خليل إبراهم جفال ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(٢) خزانة الأدب ٩٧/٢

رسالة إلى ندمائه:

بعد أن بيّن عبد يغوث أنّه لا جدوى من اللوم ، وجّه رسالة إلى ندمانه ، لعله يجد منهما غوثا ، فقال:

٣ - فَيَا راكبا إمّا عرَضت[١] فَبلِّغَنْ ... نَدامَايَ[٢] مِن نَجْرَانَ[٣] أنْ لا تَلاَقيَا

٤ ـ أبَا كَربٍ والأيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وقَيْساً[٤] بِأعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليمَانِيَا

في البيتين السابقين يوجّه الشاعر نداء مفعما بالحزن والأسى على ما صار

---

(١) عرضت: وعَرَضَ الرجل، إذا أتى العَروض، وهي مكَّة والمدينة وما حولَهما. قال الشاعر :

فيا راكِباً إمَّا عَرضْتَ فبلِّغَنْ * نَدامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقِيا

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : عَرَضَ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

(٢) النَّدامى جَمْعُ نَدْمانٍ، وَهُوَ النَّدِيمُ الَّذِي يُرافِقُك ويُشارِبُك. لسان العرب نَدَمَ .

(٣)نجران بفتح أوّله، وإسكان ثانيه: مدينة بالحجاز من شقّ اليمن معروفة، سمّيت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب. وهو أوّل من نزلها. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١٢٩٨/٤الناشر: عالم الكتب، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ

(٤)هؤُلَاءِ كَانُوا نداماه هُنَاكَ ، فَذكرهمْ عِنْد مَوته ، وحن إِلَيْهِم ، وَهُوَ بدل من نداماي. وَأَبُو كرب والأيهمان من الْيمن ، وَقيس هُوَ ابْن معد يكرب ، أَبُو الْأَشْعَث ابْن قيس الْكِنْدِيّ قَالَ صَاحب الأغاني وَكَذَا اللَّخْمِيّ: يرْوى أَن قيسا هَذَا لما بلغه هَذَا الْبَيْت قَالَ: لبيْك وَإِن كنت قد أخرتني. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب١٩٨/٢, ١٩٩

إليه حاله ؛ وقد وجّه النداء إلى راكب مُتَوجه قِبَل مكة أو المدينة وما حولهما من أماكن ، له فيها ذكريات جميلة ، وطلب من هذا الراكب أن يحمل رسالة إلى ندمائه ؛ مفادها أن لا سبيل للقاء يجمعهم مرة أخرى ، وقد خص بالنداء ندماءه من نجران وحضرموت ؛ أبا كرب والأيهمين وقيسا.وقد ذكرت سابقا أنّ هؤلاء كانوا جلساءه على الشراب .



قوله :" **فَيَا رَاكِبا إمّا عرَضت فَبلّغَنْ** " ، "راكبا" منادى نكرة غير مقصودة ؛ فالشاعر لا يقصد راكبا معينا؛ وإنّما قصد كلَّ إنسان يمكن أن يحمل هذا النداء ويبلغه ندماءه، وقد ذهب إلى ذلك معظم النحاة ، فأجازوا نداء النكرة غير المقصودة ، جاء ذلك عند سيبويه ومن جاء بعده ، وهو الذي يتفق هنا مع سياق الكلام وبلاغته ، من أن يصل النداء كلَّ إنسان يستطيع أن يبلغ نداءه ندماءه .

وقد ذهب بعضهم إلى أنّ "**راكبا**" فى البيت ليس من باب النداء ، وإنّما الأصل فيه راكباه للندبة ، فحذف الهاء كما فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[١] مانعا نداء غير المقصود، يقول الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) " قال أبو عبيدة: أراد فيا راكباه للندبة، فحذف الهاء. كقوله تعالى: ﴿ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾،ولا يجوز: يا راكبا بالتنوين ؛ لانه قصد بالنداء راكبا بعينه."[٢] ، ولا وجه للقول السابق ؛ حيث إنّه يخالف ما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة ، يقول ابن حجة :" وَأغْرب أَبُو عُبَيْدَة حَيْثُ قَالَ: أَرَادَ يَا راكباه

---

(١) يوسف ٨٤.

(٢)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٠٨٢/٢ .

للندبة فَحذف الْهَاء كَقَوْله تَعَالَى: ﴿ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ مَعَ أَن الثِّقَــات رَوَوْهُ بِالنّصب والتنوين إِلَّا الْأَصْمَعِي فَإِنَّهُ كَانَ ينشده بِلَا تَنْوِين. كَذَا نَقله ابْن الْأَنْبَارِي فِي شرح المفضليات"(١)



وذهب المازني إلى أنّ النداء السابق لمعين ؛ لامتناع نداء غيــر المعــين ، والتنوين لضرورة الشعر ، ذكر ذلك ابن هشام ، فبعد أن ذكر بيت عبد يغــوث السابق قال بعده :" وعن المازني أنه أحال وجود هذا القسم"(٢) ، يرى المــازني أن النداء معناه: طلب إقبال من تناديه عليك، وأن غير المعين لا يمكن فيه ذلك، وعلى هذا يكون التنوين فى النكرة ضرورةً أو شاذًّا ، مخالفا بذلك جمهور أهل العلم ، والراجح الذى يتفق وبلاغة البيت أن يكون النداء هنــا لغيــر معــين ، فمجيء البيت منونا عند أهل العلم دليل على أنّه نداء ، وليس من قبيل الندبة ، إذ لو كان مندوبا ما صحَّ تنوينه ؛ لأن الألف فى الندبة لإطالة الصــوت ومــدّه وليست للتنوين ، والمنادى مع الندبة مبني على الضم .فالشاعر فى حالة سيئة والذى يناسبه الآن أن يصل النداء لكل من يمكن أنّ يصل إليه ، كما أنّ حمــل الكلمة على معنى الندبة لا ينسجم والمقام ؛ لأنّ معنى النّدبــة نــداء المتفجــع عليه، أو المتوجع منه، ولا متفجع عليه هنا إلاّ الشاعر ، فهل من المعقول أن يبكي الشاعرُ غيرَه ، ويتفجع عليه ، وهو أحوج الناس إلى هذه المعاني؟

و" إمّا " فى قوله " إمّا **عرَضت** " مركبة من إِن الشّرطِيَّة وَمَا المزيدة "(٣) ،

---

(١)خزانة الأدب ٢/١٩٤، ١٩٥

(٢)أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤/١٤ ، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقــاعي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

(٣) خزانة الأدب ٢/١٩٢



ومن المعلوم أنّ "إن " الشرطية تدخل على الشرط غير المجزوم بوقوعه ، لذلك اختصت بالدخول على المضارع ، وفيما سبق دخلت على الماضي الذي يفيد تحقق الوقوع ، ولا تدخل عليه إلا لغرض قصده المتكلّم ، والسر في هذا إبراز الرغبة الشديدة فى وقوع ما يريده الرجل ، فرغبة الشاعر فى وقوع الفعل السابق قد سيطرت عليه ، فراح ينسج على منوال الأمل أن الراكب ذهب بالفعل، وشرع فى إبلاغ ندائه ، وهذه نكتة رائعة ؛ فى جعل غير الحاصل حاصلا ، وفيه من إدخال الأمل على الشاعر ما فيه ، وفيه حث للراكب على أن يأخذ الكلام مأخذ الجد والحرص ، فلا مجال للتهاون أوالتقصير فيه .

فإن قلت : ألم تكن " إذا " أليق بهذا الموضع من " إن " فَلِمَ عدل عنها ؟ ، قلت : " إن " في هذا المقام أولى وأعلق بالمعنى المراد من " إذا ؛ فالشاعر يريد من الركب أن يبلّغ ندماءه الرسالة السابق ذكرها ، وحتّى يحمل الركب الأمر على محمل الجد والحرص جاء بـ"إن " التي تدخل على الشرط غير المقطوع بوقوعه ، ليهمس فى أذن الركب بمجرد أن يقترب من تلك الأماكن يبادر بإبلاغ الرسالة ولا يتوانى ، ولا يشغله عنها شاغل ، وهذا المعنى تلتقطه من التعبير بـ " إن " ، وكأنّه سيبلّغ الرسالة قبل أن يصل تلك الأماكن ، ولو عبّر بـ " إذا " لذهب ذلك المعنى ، ولم يكن التبليغ قائما على وجه السرعة ، فما بلّغ حتّى وصل وتمكن في البلاد ، وربما فعل شيئا أو أشياء قبل البلاغ ، فالماضي أفاد تحقيق البلاغ ، والتعبير بـ "إن " أفاد العجلة فيه .

وقوله: " فَبَلِّغَنْ " أمر الغرض منه الحث ، ومجيء الأمر بعد النداء صادف نفسا يقظة ؛ حيث إنّ النداء فيه تهيئة للمخاطب وحث له وإثارة ، فإذا ما جاء الأمر وافق نفسا حريّة بفعل الأمر ،والفاء المقترنة بجواب الشرط " فَبَلِّغَنْ "تنسجم وتعليق الماضي السابق بـ "إن " ؛ إذا لا مجال للتهاون فى هذا الأمر ، فالفاء أفادت سرعة في الفعل .



وفى توجيه الأمر لندمائه دون قومه إشارة إلى تخاذل قومه عن نجدته ، ففيه تعريض بهم ، كما أنّ المقام يقتضى أن يذكر الشاعر من يتسلّى بـــذكرهم عمّا فيه من الأسر ، ولن يجد أفضل من ندمانه الذين كان يأنس بهم ، ويســعد بقربهم ، فلعل ذكرهم يخفف شيئا من ألمه ، وقد ذكر من ندمانه : أبــاكرب ، والأيهمين ، وقيسا ، ومن الأماكن نجران وحضرموت، ولو كان عند الشــاعر أغلى من هؤلاء الندمان ، وتلك الأماكن التى له فيها ذكريات جميلة لـــذكرها ، فالرجل غير آسف على قومه ، فما قدّموا له شيئا يذكرهم ويبكيهم به ، وهــو الذى عاش عمره كلَّه مدافعا عنهم ، وما وقع فى الأسر إلاّ من أجلهم ، وتلــك طبيعة المهمومين الذين لا يجدون متنفسا لهم إلاّ أن ينســجوا علـــى منـــوال الذكريات ما ينسيهم واقعهم المرير ، ويحلّق بهم فى زمـــن كانـــت الســعادة والصحبة عنوانا له. ولعل في تقديم بعض الندمان على بعض لتـــرتيبهم فـــى المنزلة عنده ، لذا قال قيس لمّا سمع نداءه :" لبيْك وَإِن كنت قد أخرتني.[١]

ولا يخفى على القاريء الإطناب الذى اشتمل عليه البيت السابق ؛ حيث قال :" **فَبَلِّغَنْ ... نَدامَايَ** " وكان يمكنه أن يقول : فبلغن من نجران أبــا كـــرب والأيهمين ، وبلاغته التأكيد على أنهما من أخص جلسائه ، وفى ذكر وصف " **نَدامَايَ** " ، تسلية له عمّا يعانيه ، و بعد أن ذكر الأيهمين جاء بهذا التاكيـــد :" **كِلَيْهِمَا** " ، وبلاغته الحرص الشديد على أن تصل الرسالة كلا الرجلين ، فـــلا يبلِّغها واحدا دون الآخر ، وإنّما عليه أن يخبرهما معا ، أيضــا بعـــد أن ذكـــر "حضرموت " قال :" **حَضْرَمَوْتَ اليمَانِيَا** " ومن المعلوم أنّ حضرموت مكانها فى اليمن ، فكان قوله :" **اليمَانِيَا** " إطنابا ؛ والغرض منه تحقيق المعنى وتثبيته ، كما أنّك تشعر فيها بلهفة شديدة إلى هذه الأماكن التى له فيها ذكريات لا تُنسى.

---

(١)خزانة الأدب ١٩٨/٢, ١٩٩

دعاء على قومه

وقد ورد هذا المعنى فى بيت واحد:



١ - جَزَى اللهُ قَوْمِي بالكُلاَبِ[١] مَلاَمَةً... صَرِيحَهُمُ [٢] والآخَرِينَ المَوَاليَا[٣]

في البيت يدعو الشاعر على قومه ، صريحهم ومواليهم ؛ حيث تركوا نجدته ، وهو الذى وقع فى الأسر من أجلهم .

البيت برمته خبر ؛ الغرض منه الدعاء على قومه بالملامة ، وقد صاغ الشاعر الدعاء بصورة الخبر ؛ بوضعه الخبر موضع الإنشاء ، والغرض منه المبالغة في إثبات هذا الدعاء وتحقيقه ، فالرجل من حرصه على وقوع الملامة بقومه ــ لتقاعسهم وتخاذلهم عن نجدته ــ عبّر عن الدعاء بصيغة الماضي، وكأنّ الملامة وقعت بالفعل ، فالطالب إذا اشتدت رغبته فى شيء عبّر عنه بصيغة الحاصل ، وأجرى الكلام على نسجه .

وفى الدعاء بالملامة مناسبة لطيفة لصنع من أوقع الملامة به من قبل ، وكأنّه أراد أن يتجرعوا كأسا قد سُقِي منها ، ليعلموا فداحة الخطب ، وشدة

---

(١) الكُلَاب : بِضَم الْكَاف وَتَخْفِيف اللَّام وَهُوَ مَاء لبني تَمِيم بَين الْكُوفَة وَالْبَصْرَة، وللعرب فى الجاهلية يومان عظيمان ، وَهَذِه الأبيات قيلت فِي يَوْم الْكلاب الثَّانِي . خزانة الأدب ٤١٠/١

(٢) الصَّرِيح :المَحْضُ الخالصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،ورَجُلٌ صَرِيحٌ:الْخَالِصُ النسَبِ، وَالْجَمْعُ الصُّرَحاء.لسان العرب :صرح

(٣)المَوْلى: المُعْتَقُ انْتَسَبَ بِنَسبِكَ، ولِهَذَا قِيلَ للمُعْتَقِين المَوالي ، والمَوْلى الحَلِيفُ، وَهُوَ مَنِ انْضمَّ إِليك فعَزَّ بعِزِّك وَامْتَنَعَ بمَنَعَتك .لسان العرب : ولي

الأمر ، وأنّ وضع الملامة فى غير موضعها من السفه بمكـان ، وفـى ذلـك تعريض بقومه ، ورفع للتهمة عن نفسه ، كما أنّ الدعاء بالملامة أبلـغ مـن غيرها فى حصول ما يدعو لذم قومه ؛ حيث إنّها كالدعوى بالبرهان ، فالفعـل المذموم وقع بدليل وجود ما يستلزمه من الملامة.

هذا ويمكن لقائل أن يقول : أليس هناك تناقض فى المعنى بين هذا البيت ، وقوله فى البيت الثاني من القصيدة:

أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ... قليلٌ وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا

حيث إنه ذكر أنّه لا جدوى من اللوم ، وأنّ الملامة نفعها قليل ، وأنّ لوم الإخوان ليس من شمائله، فكيف يلوم قومه وهو الذى عاتب من قبل من لامه ؟

الرجل كما قلت صاحب نفس عالية ، يرى نفسه لا يفعل شـيئا يسـتحق اللوم عليه ، أمّا غيره فلا ، " كأنّ عبد يغوث يرى أنّ الذى يحق له اللوم هـو القائد فقط ، فهو يلوم ولا يُلام ، فالقائد يكون لائما ، والمقود يكون ملوما ، هو الفاعل وليس المفعول "(١) ، أيضا ذكر الرجل فى البيت الثاني " **وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا** " أي ليس من شأنه لوم الإخوان ، أما هؤلاء بتخاذلهم عـن نجدتـة فليسوا أهلا لأن يكون إخوانه ، فهذا الوصف قد زايلهـم ؛ لأنّهـم لا يعرفـون حقوقه ، فإيقاع الملامة بهم فى محلها ، وليس فى ذلك تناقض بين ما ذهـب إليه الشاعر ، وما وصفهم به .

ومبالغة فى إحاطة الملامة بقومـه أجمعـين قـال :" **صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المَوَالِيَا**"؛ فالملامة تنزل بهم أجمعين ، لا فرق بين خالصهم فى النسـب ومـن

---

(١) مصرع فارس في بلاد الغربة ٣٣

انضم إليهم من الموالي ، ولا شك أنّك تشعر فى هــذا الكــلام بمــدى غضــب الشاعر على قومه ؛ حيث لم يجد منهم غوثا، لا من سيدهم أو مواليهم .وذلك من أبشع ما يمكن أن تذم به قوما ، فالكل لئيم ، وليس بينهم رجل رشيد يمكن أن يخرج من ذمّه هذا ، ويكفي القوم ذما أن الرجل استغاث بغيرهم ، وتســلّى بديار غير ديارهم ، وما أقسى تعريف المفعول به بالإضافة :" **قَـوْمِي** "دون أن يقول : جزى الله القوم ؛ إنّ تعريف المفعول السابق بالإضافة يعكس مــا فــى نفس الشاعر قِبَل قومه ، فالذى خذله ليس غريبا عليــه، وإنّمــا هــم أهلــه وعشيرته ، كما أنّ التعريف بالإضافة تشعر فيه بلوعة ومرارة ؛ إذا ليس مــن السهل على أحد أن يجد قومه أجمعين متخاذلين عنه فى وقت شدّته ، وليتــه صدر منه ما يحملهم على ما فعلوا ، وإنّما عاش عمره كلَّه من أجلهم ، ومــا وقع فى الأسر إلاّ لنصرهم ، فشتان بين صنعه وصنيعهم.



ومن الملاحظ أنّ المعنى السابق وهو الدعاء على قومه لم يأت به إلاّ فى بيت واحد كما سبق ، فى حين أنّه استغاث بندمانه وبديارهم فى أكثر من بيت ؛ وهذا دليل على أنّ الرجل ناقم على قومه ، فليسوا أهلا للذكر ، بل إن ذكرهم لم يأت إلا فى موضع ذم.كما أن فيه دليلا على أن اللوم ليس من طبعه ؛ لذا لــم يكثر منه .

شجاعة عبد يغوث وثباته:

وقدجاء هذا المعنى فى بيتين:

١ - **ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي مِن الْخَيْلِ نهدة[١]... ترى خَلْفَها الحُوَّ[٢]الْجِيَادَ تَوَالِيَا**

٢ - **ولكِنَّنِي أحْمِي ذِمارَ[٣]أبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ[٤]المُحَامِيَا**

يفخر الشاعر فى هذه البيتين بشجاعته وثباته ، ويبيّن أنّه لو أراد أن يفرّ وينجو بنفسه لفعَل ، ولِمَ لا ؟ وعنده نهدة سريعة ، تجعل الخيل السريعة تالية لها، ولكنه شجاع يأبى الفرار، ويترك ذمار القوم .

وقد استطاع عبد يغوث أن يجسّد المعاني السابقة بأسلوب رائع يشهد بتمكنه من لغته ؛ وأول ما يقابلك فى البيت الأوّل حذف مفعول المشيئة بعد لو:" **ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي مِن الْخَيْلِ نهدة**" والتقدير : ولوشئت النّجاة نجّتني نهدة ، وبلاغة هذا الحذف الإيجاز والمقام يطلبه ، كما أنّ فى حذفه إبهاما ، ثم جاء البيان بالجملة التى بعده ، والبيان بعد الإبهام فيه لفت للمخاطب وإثارة له ، ولك أنّ تقدر المحذوف وتقول :" ولوشئت النّجاة نجّتني"ستجده كلاما غثا

---

(١)النهْدُ: الْفَرَسُ الضخْمُ القويُّ، والأُنثى نَهْدَةٌ. لسان العرب : نهد

(٢)الأَحْوَى مِنَ الْخَيْلِ هُوَ الأَحْمر السَّرَاة. وَفِي الْحَدِيثِ: خَيْرُ الخَيْلِ الحُوُّ. لسان العرب: حوا

(٣)الذِّمار: ذِمار الرجل، وَهُوَ كل شَيْء يلزمُه حِمايتُه، والدفعُ عَنهُ وَإِن ضيّعه لزمَه اللَّومُ.تهذيب اللغة : ذ ر م

(٤)الخَطْفُ: الاستِلابُ، وَقِيلَ: الخَطْفُ الأَخْذُ فِي سُرْعةٍ واسْتِلابٍ. والخاطِفُ: الذئبُ. وذئبٌ خاطِفٌ: يَخْتَطِفُ الفَريسةَ لسان العرب :خطف.

ممجوجا تعافه النّفس خارجا عن طبيعة العرب فى التعبير ، وذلك على حدٍّ ما أشار إليه الشيخ عبد القاهر فى حديثه عن حذف المفعول فى قولُ البحتري:

لوْ شِئْتَ لم تُفْسِدْ سَماحَة حاتِمٍ ... كَرَماً ولمْ تَهْدِمْ مآثِرَ خالِدِ



إذ يقول :" ثم هو على ما تراهُ وتَعلَمُه منَ الحُسْن والغَرابة، وهو على ما ذكرتُ لك من أنَّ الواجبَ فى حُكْم البلاغة أن لا يُنْطَقَ بالمحذوف ولا يَظْهَرَ إلى اللفظ. فليس يَخفى أنك لو رَجَعْتَ فيه إلى ما هو أصلُه فقلتَ: "لو شئتَ أن لا تُفسِدَ سماحةَ حاتمٍ لم تُفْسِدْها"، صِرْتَ إلى كلامٍ غَثٍّ، وإلى شيءٍ يَمجُّهُ السمْعُ، وتَعافُهُ النفْسُ. وذلك أنَّ فى البيانِ ، إذا ورَدَ بعدَ الإبهامِ وبعدَ التَّحريك له، أبداً لطفاً ونبلاً لا يكونُ إذا لم يتقدَّمْ ما يُحرِّكُ."(١)

وعبد يغوث ماهر بفنون الحرب والقتال ، لذا يأتي باللفظة المعبرة عن ثباته وقت الحرب خير تعبير ، فذكر من بين الخيل النهدة دون غيرها ، والنهدة من الخيل الخفيفة القوية التى لا تُلْحَق ، فإذا كانت نهدته بهذه السرعة ويأبى الفرار، فهذا دليل صدق على ثباته ، فربما ثبت الجبان لأنّه لا سبيل لفراره ؛ لبلادة فرسه ، أمّا عبد يغوث فكان قادرا على أن ينجو بنفسه ولم يفعل .

ثم رسم الشاعر صورة معبرة لسرعة الفرس من خلال الكناية :" **ترى خَلْفَها الحُوَّالْجِيادَ تَوَالِيَا**"، والجملة كناية عن سرعة فرسه ، فهي إذا جرت رأيت الحوّ ــ وهي أفضل الخيل ــ تالية لها ، فلخفتها ونشاطها لا يقدر على اللحاق بها أفضلُ الخيل وأسرعها ، وبلاغة الكناية أنّها أرتك صورة ماثلة لفرسه وهى تجري ، ولا يلحقها لاحق ، ولو كان من خير الخيل وأسرعها، وقد تآزرت أجزاء التعبير فى تقرير الكناية وتجسيد السرعة ؛ إذ عبر بالفعل المضارع "

(١) دلائل الإعجاز ٦٣/٦٤،

ترى" ؛ لرسم تلك الصورة الرائعة ، فالمضارع من شأنه أنّ يفيد استحضار الصورة ويجعلها شاخصة أمامك ، فالمضارع أراك صورة نهدته تجري والحوَّ الجياد تالية لها ، وخصّ النّهدة بالذكر ؛ ارتقاء فى السرعة ، وأنّها بلغت فيها الغاية ، وإلى هذا يشير الأصمعي في ما نقله عنه ابن حجة " وَإِنَّمَا خص الحو لِأَنَّهُ يُقَال: إِنَّهَا أَصْبَرُ الْخَيل وأخفها عظاماً إِذا عرقت لِكَثْرَة الجري." (١) .

ثم بيّن علة تركه النّجاة ، وإيثاره الثبات ولو كلّفه ذلك الأسر والقتل فقال :

ولكِنَّنِي أحْمِي ذِمارَأَبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا

ذكر الشاعر أنه ليس بالجبان الذي يفرُّ؛ وإنّما هو شجاع يدافع عنهم، ويحمي ذمارهم ، ولو كان الأسر والقتل ثمنا لذلك ، فلا يضنّ بنفسه ، وحتّى يرسم لك الشاعر المشهد ويجسده ، فيظل مشاهدا يراه جيل بعد جيل ؛ جاء بالمضارع " **أحْمِي**" الذى يفيد تجسيد الصورة واستحضارها ، كما أنّ المضارع يفيد المبالغة فى إثبات شجاعته ؛ حيث إنّ قوله :" **أحْمِي** " وإن كان مضارعا إلا أنّه يمتدّ ليشمل الماضي والحاضر ، بدليل أنّ ما هو فيه الآن بسبب ذلك . وكأنّه يريد أن يقول : ورغم ما حدث لي وأعاني منه الآن إلاّ أنّي لو استقبلت من أمري ما استدبرت لكررت ما فعلت ، فالحماية ـ حماية ذمار الآباء ـ طبعي ولا يمكن أن أتخلى عنه ، وقد أدى الفعل المضارع هذه المعاني كلّها "(٢)

وفى تعريف المفعول به " **ذِمارَأَبِيكُمُ** " بالإضافة نكتتان ؛ الاولى : تعظيمه وبيان منزلته ، وبيان أن ليس من السهل عليه أن يضيّع مجد آبائهم ، فمثله يُفْدَى بالنَّفس ، والثانية : فيه تعريض بالقوم وبتقاعسهم عنه ، لذا قال : "

---

(١) خزانة الأدب ١٩٩/٢

(٢) مصرع فارس في بلاد الغربة ٩٩/١٠٠

ذِمارَأبِيكُمُ " دون ذمار أبي ، فالذي منعه من الفرار أمر فيه عزّهم وشرفهم ، قبل أن يكون فيه عزُّه وشرفه.

ومبالغة فى إثبات كمال شجاعته وثباته جاء بتلك الكناية الرائعة " **وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا**" ؛ فهي كناية عن شدة الحرب ، فقد بلغ من شدتها وقسوتها أن الرماح صارت تخطف المحامي ــ وهو السيد المدافع ــ وهو موقف التمحيص ؛ فيثبت فيه الشجاع ، ويفر فيه الجبان ، ومبالغة فى إثبات ضراوة الحرب جاء باستعارة مؤكدة لمضمون الكناية السابقة ؛ حيث شبه الرماح بذئب أوطائر يخطف فريسته ، بجامع السرعة والإهلاك فى كل ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الخطف ، وإسناد الخطف للرماح قرينة المكنية ، وبلاغة الاستعارة تتمثل فى تجسيد المعنى المسوق له الكلام ، فالاستعارة أرتك الرماح فى صورة ذئب انقضّ على فريسته ، فتركها أشلاء ، وساعد فى إبراز تلك الصورة المضارع " **يَخْتَطِفْنَ**" ؛ حيث إنّ فيه استحضارا لتلك الصورة القاسية التى أهلك فيها الخاطفُ فريستَه ، ولك أن تعلم أنّ المخطوف " **المُحامِيا**" وهم المدافعون عن غيرهم ، فخطف غيرهم من باب أولى، والاستعارة مع الكناية ترسم صورة لا يبغي الشاعر بها بدلا؛ هي ثباته فى وقت شديد ، فرَّ فيه الجبان ، وقُتل فيه الشجاع .

والمعنى السابق مما سَبَق إليه عبدُ يغوث ، فقد ذكر صاحب الوساطة فى حديثه عن سرقات أبي الطيب المتنبي قوله:

هَوادٍ لأملاكِ الجيوشِ كأنها ... تخيّرُ أرواحَ الكُماةِ وتنتَقي(١)

---

(١) يتحدث عن الرماح ؛ فهي هوَادٍ جمع هاد، و الْمَعْنى هواد تهديهم وتقدمهم ، =

ثم علّق قائلا :"وهذا المعنى هو الذي سَبقت إليه العرب، فقال عبد يغوث بن صلاءة:[١]

ولكنني أحمي ذِمار أبيكم ... وكان الرماحُ يخْتطفن المُحامِيا

فقالت امرأة من العرب:[٢]

وقالوا ماجداً منكم قتَلْنا ... كذاك الرّمح يكلَفُ بالكريم

ذكر الجرجاني أنّ المتنبي سُبِق إلى هذا المعنى بقول عبد يغوث وقول الأعرابية ، ولم يعلِّق بشيء ، وكان من طبع الجرجاني فى الوساطة أن يحكم بمايراه ؛ فتارة يحكم على الرجل بالتقصيرمن نحو قوله في تعليق على أبيات

=

وَقَالَ الواحدى : تهدى أَرْبَابهَا إِلَى أَرْوَاح الْمُلُوك ، الكماة : جمع كمى وَهُوَ الشجاع الْمُسْتَتر فى سلاحه ، والجيوش : جمع جَيش، والأملاك: جمع ملك ، ينظر شرح ديوان المتنبي للعكبري ٣٠٩/٢ ، المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي ،الناشر: دار المعرفة – بيروت

(١)الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٦٨، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

(٢)هي بنت فروة بن مسعود بن عامر الشيباني, قتل أبوها فروة فى وقعة (عين أباغ) وكانت بين مناذرة الحيرة وبين غساسنة الشام. فقالته ابنته زينب ترثيه، يُكَلف : يعشق وَالْمعْنَى أَنهم عيرونا بقَوْلهمْ : إِنَّا قتلنَا مِنْكُم كَرِيمًا شريفا فأجبناهم لَا عَار فِى ذَلِك ؛ لِأَن الرمْح لَا يعشق إِلَّا الْكَرِيم ، ينظر:شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣٦٥، الناشر : دار القلم بيروت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ٩٥ ، جمعه ورتبه: بشير يموت ، الناشر: المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٤ م.



له:" قد جمع فى هذه الأبيات وفى غيرها مما احتذى به حــذوَها بــين البــرد والغثاثة، وبين الثُقل والوخامة، فأبعد الاستعارة ، وعوّص اللفظ، وعقّد الكلام، وأساء الترتيب، وبالغ فى التكلّف، وزاد على التعمّق؛ حتى خرج الى السّــخف فى بعض، والى الإحالة فى بعض."(١) وتارة يحكم له بالسبق والإجادة من نحو قوله :" وهذه القصيدة كلّها مختارة ؛ لا يعلمُ لأحدٍ فى معناها مثلُــه. والأبيــاتُ التى وصف فيها الحمى أفراد ، وقد اخترع أكثر معانيها، وسهل فى ألفاظهــا ؛ فجاءت مطبوعةً مصنوعة. وهذا القسمُ من الشعر هو المطمِع المــؤيس."(٢) ، وتارة يذكر قول الرجل ويذكر القول المأخوذ منه ولا يعلِّق بشيء ؛ مما يعنــي أنّ الرجل أخذ ولم يقصّر ولم يزد فيه شيئا ، ومن هذا الجانب البيت الذى نحن بصدده ، وبالفعل المتنبي أخذ المعنى وما قدّم له شيئا ، بل إنّ قول عبد يغوث يسبق قولَ المتنبي وقولَ الأعرابية ؛ حيث إنّ قول الأوّل قيل فى أسر وخــوف وقتل ؛ مما يعكس سرعة بديهته ، وحســن ارتجالــه ، أمّــا قــول المتنبــي والأعرابية ، فقيل وهما فى راحة وأمن ، وشتان بين الحالين .

وقد سبق أن ذكرت أنّ ابن رشيق القيرواني قدّم عبدَ يغوث فــى ســرعة بديهته وحسن ارتجاله على المتنبي ؛ إذ يقول :" وقد كان أبــو الطيــب كثيــر البديهة والارتجال، إلا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جداً، وهو لعمري فــى سعة من العذر......ومن الشعراء من شعره فى رويته وبديهته ســواء عنــد الأمن والخوف؛ لقدرته، وسكون جأشه ، وقوة غريزته: كهدبة بــن الخشــرم العذري، وطرفة بن العبد البكري، ومرة بن محكان السعدي؛ ......وكذلك عبــد

---

(١) الوساطة ٩٢

(٢) الوساطة ١٢١

يغوث بن صلاءة ؛ إذ يقول فى كلمة طويلة....وذكر أبياتا من القصيدة"[١] ، فهذا تأكيد لما قلته: إنّ قول عبد يغوث يسبق قول المتنبي والأعرابية لسرعة بديهته، وحسن ارتجاله دون تقصير.



وكذلك ذكر ابن عون فى تشبيهاته أنّ أبا تمام أخذ هذا المعنى من عبد يغوث ؛ حيث قال:"وقال الطائي يرثي حميداً الطوسي:(٢)

وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فَردَّه ... إليه الحفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

ونفسٌ تَعاف العارَ حتَّى كأنه ... هو الكفرُ يوم الروع أوْ دونه الكفرُ

وهذا مأخوذ من قول عبد يغوث :

---

(١) ينظر العمدة ١٩٣

(٢) التشبيهات لابن أبي عون ٣٣٧، عُنِي بتصحيحه : محمد عبد المعيد خان ، طبع في مطبعة جامعة كامبردج. ومحمد بن حُمَيْد الطوسي (٠٠٠ - ٢١٤ هـ = ٠٠٠ - ٨٢٩ م): من قواد جيش المأمون العباسي. ولاه قتال (زريق) و (بابك الخرمي) الثائرين (سنة ٢١١ هـ واستعمله على الموصل، فقاتل زريقا حتى استسلم فسيره إلى المأمون، واستخلف على الموصل محمد بن السيد بن أنس، وسار إلى أذربيجان فأخرج منها المتغلبين عليها، وتوجه إلى بابك الخرمي، فقاتله. وكمن له جماعة من أصحاب بابك، فخرجوا عليه، فصمد لهم، فضربوا فرسه بمزراق فسقط إلى الأرض، فأكبوا عليه فقتلوه. وكان شجاعا ممدوحا جوادا، رثاه الشعراء وأكثروا، وعظم مقتله على المأمون. الأعلام ٦/١١٠ ، والْبَيْتان لأبي تَمام الطَّائِي من قصيدة يرثي بهَا مُحَمَّد بن حميد حِين استْشْهد وأولها:

كَذَا فليجلّ الْخطب وليفدح الْأَمر ... فَلَيْسَ لعين لم يفض مَاؤُهَا عذر

تُوفيتِ الآمالُ بعد محمدٍ ... فَأَصْبح فِي شغل عَن السفَرِ السفْر

وَمَا كَانَ إِلَّا مالَ من قلَّ مالهُ ... وذُخراً لمن أَمْسَى وليسَ لهُ ذُخرُ

ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي مِن الْخَيْلِ نهدة... ترى خَلْفَها الحُوَّ الْجِيادَ تَوَالِيَا

ولكِنَّنِي أحْمِي ذِمارَ أبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا



المعنى الذى يدور حوله القولان واحد ؛ وهو الثبات فى وقت تذهب فيه أرواح الشجعان ، وإيثار الأسر والموت على الفرار، غير أنّ قول عبد يغوث أحكم وأجود من قول الطائي ؛ حيث ذكركلٌّ منهما أنّ الفرار كان سهلا ، إلاّ أن أباتمّام لم يذكر كيف كان ينجو ، فكلامه أشبه بالدعوة المرسلة التى لا دليل عليها ، أمّا عبد يغوث فذكر أن لديه نجدةً ، تجعل الحوّ تالية لها ، فهذا أمعن في إثبات شجاعته من الأوّل ،كما أنّ البيت الثاني عند عبد يغوث أجود في إثبات الشجاعة من بيت أبي تمّام ، فقد ذكر صعوبة المعركة ، وأنّ الرماح كنَّ يختطفن المحاميا ، والثبات فى هذا المقام دليل شجاعة وإقدام ، أمّا عند الطائي فليس فيه إشارة إلى شدة القتال ، إضافة إلى حال عبد يغوث عندما قال هذه الأبيات ، بخلاف بيت أبي تمّام الذي قاله فى حالة أمنه ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا فى الموازنة بين بيت عبد يغوث وبيت المتنبي .

أمنية ورجاء:

وقد جاء هذا المعنى فى أربعة أبيات ؛ هي:

١- أقُولُ وقد شَدُّوا لساني بِنِسْعَةٍ[١]... أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطْلِقُوا عن لِسَانِيَا

٢ - أمَعْشَرَ تَيْمٍ قد ملكتم فأسجحوا[٢]... فإن أخاكمْ لم يَكُنْ من بَوَائِيَا[٣]

٣ - فإنْ تَقْتلُونِي تَقْتلُوا بِيَ سيدا ... وإن تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي[٤] بِمَالِيَا

٤ - أحَقًّا عِبَادَ اللهِ أن لست سامعا ... نشيد[٥] الرُّعَاءِ[٦] المُعْزِبِينَ [٧] المَتَالِيَا[٨]

فى هذه الأبيات يطلب الشاعر من القوم أن يطلقوا لسانه ؛ لينطلق بمدحهم ، فهم قد تمكنوا منه ، فإمّا أن يقتلوه وإمّا أن يأخذوا الفداء ويعفوا ، ثم تـذكر

(١)النِّسْعُ: سَيْرٌ يُضفَرُ عَلَى هَيْئَةِ أَعِنَّةِ النِّعالِ تُشَدُّ بِهِ الرِّحالُ، وَالْجَمْعُ أَنْساعٌ ونُسُوعٌ ونُسْعٌ، والقِطْعَةُ مِنْهُ نِسْعَةٌ. لسان العرب: نسع.

(٢)الإسجاحُ: حُسنُ العَفْو كقولهم: مَلَكْتَ فأَسجحْ. العين : سجح.

(٣)البَواء: السَّواء. وفُلانٌ بَواءُ فُلانٍ: أَي كُفْؤُهُ إِنْ قُتِلَ بِهِ، وَكَذَلِكَ الاثنانِ والجَميعُ. وباءَه: قَتَلَه بِهِ ،والبَواء: التَّكافؤ، يُقَال: مَا فُلانٌ ببَواءٍ لفُلانٍ: أَي مَا هُوَ بكُفْءٍ لَهُ.اللسان : بوأ .

(٤)الحَرَب بِالتَّحْرِيكِ: أَن يُسْلَبَ الرَّجُلُ مَالَهُ.اللسان : حرب .

(٥)النشيدُ: الشِّعْرُ الْمُتَنَاشَدُ بَيْنَ الْقَوْمِ ، يَنْشُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.اللسان : نشد .

(٦)الرُّعاء: جمع الرَّاعِي،وهوالذي يرْعَى الْمَاشِيَة أَي يحوطها ويحفظها.تهذيب اللغة : رعي .

(٧)المُعْزِبُ: طالِبُ الكَلإِ، وعَزَبَ الرجلُ بإِبله إِذا رَعَاهَا بَعِيدًا مِنَ الدَّارِ الَّتِى حلَّ بِهَا الحَيُّ، لَا يأْوي إِليهم.اللسان:عزب .

(٨)المَتالي: الأُمَّهات إِذا تَلَاهَا الأَولاد، الْوَاحِدَةُ مُتْلٍ ومُتْلِيَة.اللسان: تلا .

الشاعر ذكريات جميلة كان يقضيها مع الرعاء ، ينشدون الأشعار الجميلة ، لكن أين هو الآن من رفقائه في الرعي ؟ إنّ انتظار الموت قد سيطر عليه ، فلا أقل من أن ينسج على منوال الماضي ذكريات تخفف عنه شيئا مما يعانيه.



قوله :

أقُولُ وقد شَدُّوا لساني بِنِسْعَةٍ... أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطْلِقُوا عن لِسَانِيَا

البيت خبر ، الغرض منه إظهار الشكوى مما آل إليه حاله والتحسر عليه ؛ من شدّ للسانه حال بينه وبين أن يتكلم فيخرج ما جاشت به نفسه ، وقد جاء الخبر بصيغة المضارع ليجعل المخاطب شريكا له في هذا الحدث ، لما فى المضارع من استحضار للصورة وجعلها بارزة أمام السامع ، فيرق له ، لعله يتحرك أحد فيخلّصه مما هو فيه ، ثم إنّ التعبير بالمضارع يظهر معاناة الشاعر ؛ حيث إنّ فيه إشارة إلى أنّ هذا القول لم ينقطع منه ، فقد أكثر منه مرة بعد أخرى ، ففيه إلحاح بالطلب ، ولو جاء بالماضي "قلت" لذهبت تلك المعاني ، ولم يكن إلاّ إخبارا بما مضى ، دون إشارة لما يعاني منه الآن .

والبيت فيه إشكال أثاره أهل العلم بالشعر ؛ وهو هل الشاعر قد شُدَّ لسانه بالفعل ، فيكون الكلام على حقيقته ، أو أنّ الكلام جار على غير الحقيقة ؟ ؛ لأنّ اللسان لا يُشدُّ بنسعة على جهة الحقيقية ، واختلاف القول يترتب عليه اختلاف فى توجيه المعنى .

وقد أشار البغدادي إلى هذا ؛ فبعد أن ذكر البيت قال فيه : "وَفِيه قَولَان: الأول أَن هَذَا مثل ، وَذهب إِلَيْهِ شرَّاح أَبْيَات الشُّعَرَاء والقالي فِى أَماليهِ وَحَكَاهُ ابْن الْأَنْبَارِي فِى شرح المفضليات ، وَقَالَ: لِأَن اللِّسَان لَا يشد بنسعة ، وَإِنَّمَا

أَرَادَ: افعلوا بِي خيرا لينطلق لساني بشكركم ، وَإِنَّكُمْ مَا لـم تَفعلُوا فلساني مشدود لَا أقدر على مدحكم."[١]



فهذا هو القول الأوّل ؛ والكلام عندهم جار مجرى المجاز ؛ حيث إنّ اللسان لا يُشدُّ أي لا يُربط على جهة الحقيقة، وممن قال بهذا أبو بكر الباقلاني في " إعجاز القرآن " ؛ فقد ذكر البيت تحت ما يسمى بالمماثلة ؛ حيث قال :" ومما يعدونه من البديع " المماثلة " وهو ضرب من الاستعارة سماه قدامة التمثيل، وهو على العكس من الإرداف، لأنّ الإرداف مبنى على الاسهاب والبسط، وهو مبنى على الإيجاز والجمع .وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى، فيضع ألفاظاً تدل عليه، وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه."[٢] و ذكر شواهد له من المنثور والمنظوم ثم ذكر بيت عبد يغوث السابق .

وبهذا قال المرزوقي في شرحه " ديوان الحماسة " ؛ إذ يقول:" المعنى أحسنوا إلي ينطلق لساني بشكركم."[٣]

وإلى هذا ذهب ابن أبي الإصبع فقد ذكره في باب الإشارة ، حيث يقول:"ومن الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي، وهو يجمع العبارة والإشارة ببعد لا يفهم طريقه إلا ذو فهم،......ومن أمثلة الوحي والإشارة بضرب من

---

(١) خزانة الأدب ١٩٩/٢

(٢)إعجاز القرآن للباقلاني ٨٠،المحقق: السيد أحمد صقر ، الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

(٣)شرح ديوان الحماسة ١٢١، المحقق: غريد الشيخ ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

الاستعارة ..... "[١] وذكر شواهد ، ثم ذكر قول عبد يغوث السابق .

أمّا القول الثاني الذي أشار إليه ابن حجة ؛ فهو حمل للكلام على حقيقته إذ يقول :"وَالثَّانِي أَنهم شدوه بنسعة حَقِيقِيَّة وَإِلَيْهِ ذهب الجاحظ فِي الْبَيَان والتبين والأصفهاني فِي الأغاني وَحَكَاهُ أَيْضا ابْن الْأَنْبَارِي: بِأَنَّهُم ربطوه بنسعة مَخَافَة أَن يهجوهم وَكَانُوا سَمِعُوهُ ينشد شعرًا فَقَالَ: أطْلقُوا لي عَن لساني أَذمّ أَصْحَابِي وأنوح على نَفسِي فَقَالُوا: إِنَّك شَاعِر ونحذر أَن تهجونا. فعاهدهم أَن لَا يهجوهم فأطلقوا لَهُ عَن لِسَانه. " [٢] ،ونص قول الجاحظ:" ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسبّ به الأحياء والأموات، إنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بنسعة، كما صنعوا بعبد يغوث ابن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب. وهو الذي يقول... "[٣] وذكر البيت

وإلى هذا القول ذهب ابن رشيق فبعد أن ذكر البيت قال :" وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء، فعاهدهم فأطلقوه لينوح على نفسه، فصنع هذه القصيدة، وعرض عليهم فى فدائه ألف ناقة، فأبوا إلا قتله"[٤]

---

(١) ينظر : تحرير التحبير ٢٠٦، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي

(٢) خزانة الأدب ١٩٨، ١٩٩

(٣)البيان والتبيين ٢/٢٧٣ ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام النشر: ١٤٢٣هـ

(٤) العمدة ١/١٩٣

والذي يحلّ هذا الإشكال ويفصل بين القولين السابقين ؛ من حمل للكلام على حقيقته ، أو إجراء للكلام مجرى المجاز ، إنما هو الشاعر نفسه ، من خلال الوقوف على المعنى المسوق له الكلام ؛ لنرى أيّ القولين أولى بحمل الكلام عليه.



إنّ كلا من القولين له وجهة ؛ فالذى يُجْرِي الكلام مجرى المجاز يراه أدعى للإيجاز ؛ حيث إنّه يحمل بين طيّاته معاني كثيرة ، أي أحسنوا إليّ ينطلق لساني بمدحكم ، وإلاّ تفعلوا فلساني معقود لا يقدر على مدحكم .والذى يحمله على حقيقته ؛ يرى أنّ القوم ربطوه بسبب خوفهم من الهجاء ، ومن شدة سبهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويَسبّ به أحياءهم وأمواتهم.

أقول: إنّ إفادة الكلام للإيجاز تأخذها من الوجهين معا ، وليس هذا هو السبب الذى نقدم به وجها على آخر ، وإنّما الذي يتناسب مع المقام أن يُحْمل الكلام على الوجه الأوّل ؛ وإجراء الكلام مجرى المجاز ؛ فالرجل يريد منهم إطلاق سراحه لينطلق بمدحهم وشكرهم ، لكنّه صاحب نفس أبية ، لا يرضى لها ذلا ، أو أنّ يُرى فى موضع ضعف ، فلا يقدر أن يُصَرّح بهذا ، ولو كان القتل ثمنا لعزة نفسه ، والدليل على ذلك أنّه قال بعده :" **أمَعْشَرَ تَيْمٍ قد ملكتم فأسجحوا**" ، ثم أومأ إلى إطلاق سراحه وأن يقبلوا الفدية بقوله: " **وإن تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا**" ، كلُّ هذه المعاني تأتيك من الوجه الأوّل ، وتحفظ على الرجل كرامته وعزة نفسه ، فهذا طريق يحتاج تأملا فى الوصول للمعنى المراد ، فهو كما قال ابن أبي الإصبع يجمع العبارة والإشارة ببعد لا يفهم طريقه إلا ذو فهم .فالرجل ما أراد بإطلاق لسانه إلاّ إطلاق سراحه ، وقد استشهد الزبيدي فى "تاج العروس" بهذا البيت على مادة "طلق " ؛ حيث يقول : "وأطْلَقَ الأسيرَ:

إِذا خلاّهُ وسرّحهُ، فَهُوَ مُطلَقٌ وطَلِيقٌ، وَفِي الحَديث: أَطْلِقوا ثُمامَة، وكَذَلِكَ أَطْلَقَ عنهُ. قَالَ عبدُ يَغوثَ بنُ وقّاص الحارثيّ(١):

أقولُ وَقد شدّوا لِساني بنِسْعَةٍ ... أمَعْشَر تَيْمٍ أطْلِقوا عَن لِسانِيا



فهذا دليل على أنّ المعنى المسوق له الكلام هو إطلاق سراحه بالكلية ، لا فك للسانه من ربط .

ولا يخفى على القاريء ما يفيده النداء " **أمَعْشَر تَـيْمٍ**" من ترقيق للقلوب ؛ حتى يمتثلوا الأمر " **أطْلِقوا عَن لِسانِيا**"، وقد ناداهم بالهمزة والتي توحي بقـرب المنادِي من المنادَى ، وللإشعار بالقرب أوقع النداء على المعشر ؛ وهم أهـل الرجل وقرابته ، وكأنه يهمس فى أذنهم من طرف خفي أنا منكم ، فلا تنسـوا الفضل ، ثم ارتقى درجة أعلى فى استمالة قلوبهم فقال: "**تَـيْمٍ**" دون أن يقول : تميم ، من باب مؤانسة المنادِى للمنادَى ، فهذه طريقة رائعة ؛ فيهـا تنشـيط للمخاطب ، وتهيئة له فى قبول الأمر ، فالأمر هنا قد صادف نفسا مهيأة يقظة ، فيقع الكلام موقع الإصابة والقبول .ثم انظر إلى سرِّ التعبير بـ" **أطْلِقـوا**" دون غيرها مما قد يؤدي المعنى نحو فُكّوا أو حلّوا لسانيا ، لن تجد له من الروعـة ما وجدت في " **أطْلِقـوا**" ؛ لأن هذه المعاني تفيد حلَّ لسانه من الربط فحسب ـ على قول من قال بربط لسانه ـ ولم يكن في الكلام إشارة إلى هدف الشاعر ؛ من إطلاق لسراحه .

قوله:

أمَعْشَرَ تَيْمٍ قد ملكتم فأسجحوا... فإن أخاكمْ لم يَكُنْ مِن بَوَائِيَا

---

(١) تاج العروس : طلق



الشاعر مازال ينسج على أوتار مشاعرهم ما يرقق القلوب ، ويرغب فى العفو والصفح ، وفى هذا البيت اعتمد الشاعر على أسلوب التكرار " **أمَعْشَرَ تَيْمٍ**" ؛ لما فى اللفظ المكرر من وقع طيب سبق ذكره ، كما أنّ التكرار فيه إشارة إلى غلبتهم وتمكنهم ، ومن كان له الغلبة حق أن يُكثر من ذكره ، وتأكيدا لغلبتهم وتمكنهم قال :" **قد ملكتم** " بإدخال قد على الماضي التى تفيد التأكيد ،ثم انظر إلى دقّته فى اختيار المفردة "**فأسجحوا**" ؛ وما يفيده هذا الفعل من معان لا يقوم بها غيره ؛ من نحو ؛" فاعفوا أو اصفحوا ؛ لأنّ هذه الكلمة تفيد لا مجرد العفو والصفح فحسب ، بل تفيد عفوا فيه إحسان ، ففيها معنى العفو وزيادة ، وهذا هو مراد الشاعر ، يقول أبو منصور الأزهري:" الإسجاح: حُسن العَفْو. وَمِنْه الْمثل السائر (ملكْتَ فأسْجِحْ) ' وَقَالَ أَبُو عُبيد: من أمثالِهم فِي العفْو عِنْد الْقُدْرَة: (مَلكْت فأسْجِح) قَالَ: هَذَا يُرْوى عَن عَائِشَة أَنَّهَا قالته لعلِيّ رَضِي الله عَنْهُمَا يَوْم الْجمل حِين ظَهَر على النَّاس فدَنَا من هَوْدَجِها، ثُمَّ كَلَّمها بِكَلَام، فأجابتْه: ملكْت فأسجِح[١] ' أيْ ظفِرْت فأحْسِن، فجهَّزها عِنْد ذَلِك بأحْسن الْجِهازِ إِلَى الْمَدِينَة."[٢] ، فالرجل لا يريد مطلق العفو ، وإنّما يريد أن يحسنوا إليه ؛ حتّى يعود سالما إلى أهله ، وهذا من تمام الإحسان.

أمّا عن سرّ العطف بالفاء فى الأمر السابق "**فأسجحوا**" ؛ فإنّ العطف بها يفيد المسارعة إلى فعل المأمور به ، فمن شأن الكريم ألاّ يتوانى عن خير ، كما أنّ العطف بها تلمح فيه معنى المفاجأة،أي مفاجأة الخصم بما لا يتوقع ؛

---

(١) وهو جزء من حديث أخرجه الشيخان في باب غزوة ذي قرد؛ أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لسلمة ابن الأكوع : «يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ».

(٢) تهذيب اللغة : سجح



فالقضية التي يتحدث عنها عبد يغوث ــ وهي حسن العفو ــ قد أسّس لها وأرسى عمادها ، حيث ناداهم نداء القريب ليرقق قلوبهم كما قلت ، ثم أدخل النداء على ما يثير همتهم ويلهب مشاعرهم ؛ فقال : معشر تيم ، ثم كرر النداء ، فالمخاطب بعد كلِّ هذا صار أهلا للأمر ، وليس من حسابه الآن أن يرفضه ، فإذا كان الحال كذلك فأسجحوا ، فالمتكلم قد فاجأ المخاطبين بهذا الأمر ، فليس أمامهم إلا قبوله والمسارعة إليه ، وفي إفادة الفاء معنى المفاجأة يقول الشيخ الخضري :" هذا المعنى للفاء التى تفاجيء الخصم بما لا يتوقعه من الحجة الملزمة ، والأدلة الدامغة ، التي تقطع العذر ، وتنهي الحوار ، وتدفع المخاطب إلى التسليم بمنطق المتكلم ، وهذه الفاء غالبا ما تفصح عن شرط مقدر ، وهي بهذا التقدير أجدر ؛ لأن الشرط يستحضر منطق الخصم ، ليبني عليه حجته المفحمة ، وهو فن من الجدل رفيع ، فيه رائحة ما يسمى بالمذهب الكلامي ؛ لأنك تبني نتيجة على مقدمة سلّم بها الخصم ، ونطق بها ، ولمّا كانت النتيجة لازمة لما سلّم به من المقدمات لم يكن أمام مخاطبك إلاّ التسليم بما فاجأته به ، فهو كمن أتي من مأمنه ، وفوجيء بالهجوم بعد التظاهر بالملاينة "(١)

قوله:" **فإن أخاكمْ لم يَكُنْ مِن بَوَائِيَا**" ، يفيد تأكيد المعنى المسوق له الكلام، من الترغيب في العفو ؛ حيث إنّ أخاكم لم يكن لي كفئا.

وهذه الجملة تُثير تساؤلا مهما ؛ وهوكيف يذكر في الأبيات السابقة ما يُرَغِّبُ فى حسن العفو والصفح ، ويتفنن في انتقاء الكلمات والأساليب ــ كما

---

(١) من أسرار حروف العطف فى القرآن الفاء ، ثم ص ٨٨ ، الدكتور محمد الأمين الخضري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هــ ١٩٩٣م ، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.

سبق ذكره ــ ثم فجأة يتباهى عليهم بقوله :" **فإن أخاكمْ لم يَكُنْ مِن بَوَائِيَا**"، أي قتيلهم وهو النعمان بن جساس ليس كفئا له ، فهل هذه العلة هي الداعية إلى امتثال الأمر "**فأسجحوا**" ؟ إنّ كلاما كهذا كفيلٌ بعقوبته ، إنها نبرة عالية ترى فيها عزّة النّفس فى أعلى درجاتها ، وقد قال هذا الكلام فى أسره ، فماذا يقول إذا أطلقوا سراحه ؟



إنّ الغرض من الخبر السابق نفي أن يكون قد تسلل إلى أذهان المحاطبين ــ بعد أن طلب منهم حسن العفو ــ أن يكون الشاعر قد سيطر عليه اليأس ، وأنّ ما فيه من أسر وانتظار للقتل قد جعله يرضى بالذل ، فهذا ليس من طبعه.

وكم برع في اختياره كلمة " **أخاكمْ** " دون قتيلكم ، إنّ هذه الكلمة فيها إشارة إلى ما قصده عبد يغوث من الفخر بنفسه ؛ حيث إنّه أراد أن يقول : لستم جميعكم كفئا لي ، لأنّ المقتول النعمان بن جساس ــ وهو أخوهم ــ ليس كفئا ، والأخ عادة يحمل ما يحمله أخوه من العز والشرف ؛ حيث إنّ نسبهم واحد ، فهذه الكلمة جمعتهم كلهم ، وجعلتهم فى منزلة دون منزلة الشاعر ، ولو قال قتيلكم لضاع هذا المعنى ، فربما يكون القتيل من مواليهم ، أو عبيدهم، فليس له من العز والشرف ما لهم ، ولم يكن قتله أهلا لأن يتباهى به القاتل .

قوله :

فإِنْ تَقْتُلُوني تَقْتُلُوا بِيَ سيدا ... وإن تُطْلِقُوني تَحْرُبُوني بِمَالِيَا

يريد الشاعر أن يقول إن تقتلوني تقلتوا سيدا ، وإن تعفوا عن هذا السيد أخذتم مالي فداء .

وقوله : " **تَقْتُلُوا بِيَ سيدا**" من باب التجريد ؛ حيث إنّه لم يرد بقتلهم سيدا إلاّ نفسه ، وبلاغة التجريد المبالغة فى نبرة العزة والتعالي التى سبق الحديث عنها، وبيان أنّه ليس بالجبان ،وإنّما هو سيد حتى في تلك اللحظة التى لا يثبت فيه إلاّ من كان شجاعا .



وفي تعليق الشرط ب"إن " ، ومجيء فعل الشرط مضارعا ؛ إثبات لما يدور في نفس الشاعر من رغبة في النّجاة ، فما زال الأمل موجودا ، ولو جاء بالشرط ماضيا مقترنا بــ" إذا "لضاع هذا الأمل ، ورأيت اليأس والخوف يملآن حديث الشاعر ، فالرجل مازال متماسكا لتلك اللحظة ، غير آسف على ماصدر منه ، يؤكد هذا نبرةُ الفخر التى سبق الحديث عنها.

وجملة الشرط الثانية :" **وإن تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا**" تنسجم مع جملة الشرط الأولى ؛ حيث قيّدها بــ"إن " دون "إذا " ، وقد يتبادر إلى الذهن أنّ "إذا" والماضي هما الأليقان بهذا الموضع من "إن" والمضارع ؛ حيث إنّ المعنى المسوق له الكلام هو طلبه أن يطلقوا سراحه فينتفعوا بماله ، فيكون التقييد بــ"إذا " والماضي آكد في إطلاق سراحه ، وأخذهم ماله ، أقول: إنّ بناء جملة الشرط فى هذا الموضع من " إن " والمضارع أبلغ في أداء المعنى ؛ لأنّه لو جاء بــ"إذا " والماضي لفهم حرص الشاعر الشديد ورغبته الملحة فى الخلاص والنَّجاة ، وربما تسلل إلى الأذهان أنّ الرجل بدأ يجزع وينهار ، فيكون الكلام مناقضا لما أكّده الكلام السابق من ثباته وشجاعته .

ثم انظر إلى تكرار ضمير المتكلم خمس مرات في بيت واحد ؛"**تَقْتُلُونِي**"، و"**بِيَ** "و"**تُطْلِقُونِي**" ، و" **تَحْرُبُونِي** "، و " **بِمَالِيَا**" ؛ وما يعكسه من شعور بالعظمة

حتّى وهو أسير بينهم ، وقد علّق ابن رشيق على البيت بقوله:"وهذه شهامة عظيمة وشدة."[١]



أيضا هناك جانب صوتي مهم فى أداء المعنى ؛ وهوحركة القاف وسكونها فى الفعل "قتل " فى البيت السابق " فالقاف وردت ساكنة مرتين "**تَقْتُلُونِي ـ تَقْتُلُوا**"؛ وهي أنسب ما يكون للقتل ، ونلاحظ أنّها جاءت مرة ثالثة متحركة في " **تُطْلِقُونِي** " والساكنة جاءت في معرض القتل وإنهاء حياة الشاعر ، فكان السكون مناسبا ، وفي الإطلاق جاءت متحركة ؛ مناسبة لإطلاق سراحه "[٢] ، كما أنّ فعل القتل جاء مرتين ، وما يفيد حريته جاء مرة واحدة ؛ وهذا يتفق مع ما أشرت إلية من شجاعته وثباته ، فهو للقتل أقرب ، وعن الحرية أبعد ، ومع ذلك تجّلد حتّى لا يشمت به الشامتون ، ويبقى ذكره طيبا على ألسنة النّاس .

قوله:

أحَقًّا عِبَادَ اللهِ أن لست سامعا ... نشيدَ الرُّعَاءِ المُعْزِبينَ المَتَاليَا

في البيت يتحسر الشاعر على ما آل إليه حاله ؛ حيث صار بعيدا عن موطنه الذي كان يأنس فيه بصحبة الرعاء ، فيسمع أناشيدهم ، ويتسلى معهم.

وقد صاغ الشاعر هذا المعنى بطريقة رائعة ؛ فجاء بطريق الاستفهام "**أحَقًّا عِبَادَ اللهِ أن لست سامعا** ..." , وهذا الاستفهام يفيد التحسرعلى حاله ، فالرجل يعلم يقينا أنّه لا يسمع صوت الرعاء المعزبين على وجه الحقيقة ، وأن

---

(١) العمدة ١/١٩٤

(٢) مصرع فارس في بلاد الغربة ١٢٢

سماعهم ــ وهو على حاله من الأسر ــ ضرب من المحال ، وإنّما صاغ هــذا المعنى بطريق الاستفهام ؛ حتّى يحمّله حسرة وحنينا على زمــن جميــل كــان يقضيه فى صحبة هؤلاء الرعاء، ولمزيد من لفت الانتباه أعقب الاستفهام بنداء " **عِبَادَ اللهِ**"؛ ، وفى اجتماع الأساليب الإنشائية على هذا النحو الرائع فيه لفــت للمخاطب وإثارة ، تتفق والرغبة الملحة فى أن يسمع صوته كلّ إنسان ، وقــد حذف حرف النداء؛ لأنّ فى الحذف إشارة إلى قرب المنادَى من المنادِي ، وفى تخصيص النَّشيد بالسماع دون غيره ؛ لما فى ذكره من تسلية له عما يعانيه ، فالرجل يتحسر على تلك اللحظات الجميلة التى كان يستمتع فيها بصوت الرعاء وهم ينشدون الشعر ، وخصّ من الرعــاء " **الرُّعَاء المُعْزِبينَ المَتَاليَا**" ؛ لأنهــم الذين ابتعدوا بإبلهم بعيدا عن الديار ، وهذا يعكس صورة لما يحنُّ إليه الشاعر وهو حياة البدو ، التى هي رمز للحريّة .فالرعــاء والرعــي رمــز للحريــة والانطلاق ، وهي بغية الشاعر ومراده.



تهكم العبشمية والرد عليها:

١ - وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عبْشَمِيَّةٌ[١] ... كأنْ لَمْ تَرَى قبْلِي أسِيراً يمَانِيَا

٢ - وظَلَّ نِساءُ الحَيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً[٢]... يُرَاوِدْنَ[٣] مِنِّي ما تريد نِسَائِيَا

٣ - وقد علِمَتْ عِرْسِي[٤]مُلَيْكَةُ أنَّنِي ... أنَا اللَّيْثُ مَعْدُوا عليَّ وعادِيا



فى هذا الأبيات يذكر عبد يغوث موقف المرأة العبشمية منه ، وكيف ضحكت منه لمّا رأته ، كأنّها لم تر قبله أسيرا يمانيا ، ثم تحدّث عن حال النسوة منه ، وكيف أعجبن به ، وراودنه عن نفسه فأبى إلاّ الفضيلة ، ثم تذكّر فى هذا المقام امرأته "مُلَيْكَةَ "، فَذِكْرَاها خيرُ جليسٍ له من تلك النسوة.

البيت الأوّل :

وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عبْشَمِيَّةٌ... كأنْ لَمْ تَرَى قبْلِي أسِيراً يمَانِيَا

ذكر ابن عبد ربّه وابن حجة أنّ عبد يغوث عندما أُسِر وضِع عند امرأة من بني عبد شمس، فأعجبها جماله وكمالُ خلقه، وكان الذى أسره غلاما

---

(١)نسبها إلى عَبْدِ شَمْسٍ، فأَخذَ العين والباء من (عَبْد) وأَخذَ الشينَ والميمَ من (شَمْس) ، واسقَطَ الدال والسِّين، فبَنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النَّحت .العين ٦١/١ .

(٢)رَكَدَ الْقَوْمُ يَرْكُدون رُكوداً: هدأُوا وَسَكَنُوا. اللسان : ركد

(٣)تَقُولُ راوَدَ فُلَانٌ جَارِيَتَهُ عَنْ نَفْسِهَا وراوَدَتْه هِيَ عَنْ نَفْسِهِ إِذا حَاوَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ الْوَطْءَ وَالْجِمَاعَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:" تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ "؛فَجَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا. وراوَدْتُه عَلَى كَذَا مُراوَدَةً ورِواداً أَي أَرادته.اللسان :رود

(٤)عِرْس الرجل: امْرَأَته. يُقَال: هِيَ عِرْسه،وَالْمَرْأَة تسمَّى عِرْس الرجل كلَّ وَقت. تهذيب اللغة : عرس

نحيفا، فقالت لعبد يغوث: من أنت؟ قال: أنا سيّد القوم! فضحكت، وقالت: قبّحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ بقوله: وتضحك مني شـيخة عبشمية. . البيت.

البيت السابق خبر ؛ الغرض منه بيان حال المرأة العبشمية من عبد يغوث ، وكيف حوّل الشاعر هذا المشهد إلى موطن للفخر بنفسه ، وقد صـاغ عبـد يغوث هذا الخبر بطريقة المضارع "**تَضْحَكُ**" دون الماضي " ضَحِكَت " ؛ لما فـى المضارع من استحضار لصورة العجوز وهي تضحك من الرجـل ،فالمضـارع جسّد تلك الصورة وجعلها بارزة للمخاطب ، كما أن التعبير به فيه إشارة لتجدد هذا الفعل منها ، وهذا أبلغ فى إثبات المعنى ، ولو جاء الخبر بطريقة الماضي لكان إخبارا بما وقع دون إشارة إلى استحضار صورته ، أو تجدد حدوثه .

والفعل السابق " **تَضْحَكُ**" حمله كثير من أهل العلم على أنه ضَحِكٌ حقيقـيٌّ، غير أنّ الزّبيدي صاحب "تاج العروس" ذهب إلى أنّ " تضحك " فى البيت بمعنى تتعجب ، جاء ذلك في حديثه عن مادة ضَحِكَ ؛ حيث ذكر قوله ــ تعـالى ــ : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ ﴾ (١) فذكر المعاتي التي تدور عليها وقال: إنّها بمعنى ضحكت ، ثم قال : وَقيل: هُوَ مِنْ ضَحِكَ الرَّجُـلُ: إِذا عَجِـبَ والمَعْنَى: أَي عَجِبَتْ مِنْ فَزَعِ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ السلامُ، وَمِنْه قَـولُ عَبـدِ يَغُـوثَ الحارِثِيِّ:(٢)

وتَضْحَكُ مِنِّي شَيخَةٌ عَبشَمِيَّةٌ ... كأَنْ لَم تَرى قَبلِي أسِيرًا يَمانِيَا

---

(١) هود ٧١

(٢) تاج العروس ٢٥٢/٢٧



وما ذكره الزّبيدي لا يتعارض مع القول السابق ، فلا مانع من الجمع بينهما ؛ فالمرأة ضحكت من حاله لمّا قال : أنا سيد القوم ، وقد أسره فتى أهوج ، فهل سيّد القوم يأسره مثل هذا ؟ ثمّ تعجبت من جمال صورته لمّا اقتربت منه ، وللمبالغة في إثبات جماله عبّر بـ" شَيخَة" دون امرأة ؛ لأنه إذا كانت الشيخة العجوز تعجبت من جماله وتعلّقت به ، فتعجّب غيرها أولى ، فهذا أمعن فى إثبات جماله ، لأنّ ميل الشيخة إلى الرجال بعيد ، فإذا مالت فلا تميل إلاّ لرجل له من الجمال ماله ، لذا أكّد هذا بقوله :" كأنْ لَم تَرى قَبلِي أسِيرًا يَمانِيًا"، وكأنّ العبشمية لم تر قبله أسيرا .

وكلمة" شَيخَة" نسبها إلى عبد شمس ، فقال : "عبشَمِيَّةٌ" ، وهي وإن كانت كبيرة في المبنى ؛ لكنها سهلة على اللسان ، لا تشعربكلفة أو مشقة فى نطقها، و قد استشهد بها أهل اللغة على النحت [١]، وأوّل من قال به الخليل ــ رحمه الله ــ إذ يقول :"تسبها إلى عَبْدِ شَمْسٍ، فأَخَذَ العين والباء من (عَبْـد) وأَخَـذَ الشينَ والميمَ من (شَمْس) ، واسقَطَ الدال والسِّين، فبَنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النَّحت فهذا من الحُجَّةِ فى قَوْلِهم: حَيْعَلَ حَيْعَلَة، فإنها مأخوذة من كلمتين (حَيّ عَلى)"[٢]

---

(١)النحت ضرب من ضروب الاشتقاق فى اللغة، وهو أن تعتمد إلى كلمتين ، أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها، كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها، ينظر: بحوث ومقالات في اللغة المؤلف: رمضان عبد التواب ،الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٥

(٢) العين ٦١/١



والفعل المضارع"**لَمْ تَرَى**" فيه إشكال ؛ حيث سُبِق بجازم فكان حقه أن يجزم بحزف حرف العلة فيقال :" **لم تر**"، إلاّ أنّ جميع الروايات جاءت بإثبات حرف العلة ، وقد اختلف أهل العلم فى توجيه ذلك ، حيث إنّ هذا الشعر مما يحتج به ، فكيف ساغ إثباتها ؟ وقد ذهب ابن جنّي أنّ لام الفعل حُذفت للجزم ، وهذه الألف بدل من همزة ، وهي عين الفعل ، فبعد أن ذكر قول عبد يغوث السابق قال : "جاء به على أن تقديره محققا: "كأن لم ترأ"، ثم إن الراء لما جاورت وهي ساكنة، الهمزة متحركة، صارت الحركة كأنها فى التقدير قبل الهمزة، واللفظ بها كأن لم ترأ، ثم أبدل الهمزة ألفا، لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصارت ترا، فالألف على هذا التقدير بدل من الهمزة التى هي عين الفعل، واللام محذوفة للجزم" (١)

وقد ذكر أبو البركات؛ كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) قولين آخرين إذ يقول:"وللعلماء فى هذه الألف قولان: أحدهما: أن هذه الألف هي لام الكلمة التي كان يجب عليه حذفها للجازم، لكنه اكتفى بحذف الحركة كما يكتفى بحذف الحركة في الفعل الصحيح الآخر، والقول الثاني: أن لام الفعل قد حذفت كما هو مقتضى الجزم، وهذه الألف ناشئة عن إشباع فتحة الراء، فالفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها "(٢) ، والوجه الثاني قال به

---

(١)سر صناعة الإعراب ٩٠/١ ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ،الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

(٢)الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين ٢٢/١، لأبي البركات ؛ كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) ، الناشر: المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

الزمخشري فى الكشاف ؛حيث ذكر أنّ الألف زائدة للإطلاق من أجل الفاصــلة، كقوله: ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾(١) ، ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾(٢) ،........ "(٣)



والأوجه السابقة التى قالها أهل العلم تدفع أن يكون فى كلام الرجل مخالفة لقواعد اللغة ، فما جاء به له وجه فى العربية .

وذهب بعض أهل العلم إلى غير هذا ؛ فذكروا أنّ المضارع مجزوم بحذف النون ، والكلام لخطاب المرأة ، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، ذكر هــذا الجواليقي فى شرحه أدب الكاتب إذ يقول :" وقوله كأن لم تري خاطبها بعــدما أخبر عنها"(٤) ، وبه قال أبو البركات الأنباري ، فبعد أن نقل الوجهين السابقين عن أهل العلم قال: " قوله "كأن لم تري" **يجري فيه الرأيان اللــذان ذكرناهمــا، ويزيد هذا البيت وجهًا ثالثًا، وحاصله أن قوله :"تــري" بفــتح التــاء والــراء وسكون الياء، وهذه الياء هي ياء المؤنثة المخاطب، وليست لام الكلمة ولا ألف إشباع، وكأنه بعد أن ذكر ضحكها منه التفت إليها فقال مخاطبًا لها: كأنــك لــم تري قبل هذه المرأة أسيرًا يمانيًا." (٥) ،وذكر البغدادي فى خزانــة الأدب هــذا الوجه فقال :" رِوَايَة أهل الْكُوفَة كَأَن لم ترى بِالْألف وَهَذَا عندنَا خطأ وَالصَّوَاب تري بِحَذْف النُّون عَلامَة للجزم.وَقَالَ ابْن السَّيِّد: قَوْله: كَأَن لم تري رُجُوع من**

---

(١) الأحزاب ٦٧

(٢) الأحزاب ١٠

(٣)الكشاف ٨٧/٣ ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة–١٤٠٧هـ

(٤) شرح أدب الكاتب ٢٨٩

(٥)الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٣

الْإِخْبَار إِلَى الْخطاب"[١]

مضمون الوجه السابق أن الكلام فيه رجوع من الإخبار إلى الخطاب ، أو بعبارة أخرى فيه التفات من الغائب إلى الخطاب ، وهذا الوجه فى النفس شيء منه ؛ حيث إنّ المقام لا ينهض بهذا المعنى ؛ فالمقام مقام فخر بنفسه ، وأنّ المرأة أعجبت به ، وهو مُعْرِضٌ عنها لا يميل إليها ، فهو عفيف لا يركن للنساء ، والذى يناسب هذا أن يذكر المرأة بضمير الغائب ، فلا يجعل لها ذكرا وحضورا فى الكلام ، ولو حُمِل الكلام على الالتفات لذهب هذا المعنى ، وكان دليلا على أن الرجل مال إليها ولو بالخطاب ، ومما يؤكد هذا أنّه ذكر امرأته "**مُلَيْكَة** " بعد هذا ، مما يدل على أنّه لم يشغل بغيرها ، حتّى في مقام راودته فيه النساء ، ويأبى هو أن يفعل شيئا يشينه .

قوله :

وظَلَّ نِساءُ الحَيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً ... يُرَاوِدْنَ مِنِّي ما تريد نِسَائِيَا

هذا البيت يدور فى فلك البيت السابق ؛ فالرجل فى البيت الأوّل تحدّث عن المرأة العبشمية ، وكيف تعجبت منه ، وكأنّها لم تر أسيرا قبله ، وفى هذا البيت ينتقل عبد يغوث إلى حال النِّسوة أجمعين ، حيث ظللن رواكد حوله ، ثم فُتِنّ به ، فأردن منه ما تريده المرأة من زوجها ، والشاعر فى البيتين يرسم صورة له لا يبغي بها بدلا ؛ وهي صورة الرجل الجميل الذى هو مطلبٌ للنساء أجمعين .

والبيت السابق خبر الغرض منه إظهار حال النسوة معه ، وقد عرّف

---

(١) ٢٠١/٢

المسند إليه " **نِساءُ الحَيِّ**" بالإضافة ؛ وبلاغة هذا التعريف هي الرغبة فى إفادة العموم والشمول ، فكل نساء الحي جلسن حوله وراودنه ، وهذا فيه من المدح له ما فيه ، فليس فى الحي امرأة إلا وتعلّقت به ، ثم انظر إلى تقـديم "**حَوْلِيَ** "على الخبر وما يفيده هذا التقديم من رسم صورة رائعة قصدها الشاعر ؛ وهي صورته وهو جالس والنسوة يجتمعن حوله من كـل ناحيـة وجانـب، وهـو يتوسطهن ، وكلّ واحدة منهن تتمنى أن تظفربه ، وقد عرف المفعول به " **ما تريد نِسَائِيَا**" بالموصولية ؛ لتقرير الحكم المسوق له الكلام وهو المراودة ، كما أنّ فى تعريفه بها دليلا على استهجانه التصريح بالفعل لكونه قبيحا في نفسه ، وهو المعصية ، والجملة كناية عن طلب الفاحشة ، وبلاغة الكناية تتمثل فـي كراهية التصريح بالمطلوب ، وهذا يعكس ما يتحلى به الشاعر من همة عالية ، تأبى له أن يدنّس نفسه بهذا ولو باللفظ ، فالكناية أبرزت رغبة النساء فيـه ، وعفته هو ، ولتأكيد المراودة جاء بالمجرور " **مِنِّي**"، ففيه دليل على صنعهن ، وأنّ ما يقوله كان صدقا.

قوله:

وقد عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أنَّنِي ... أنَا اللَّيْثُ مَعْدُوا عليَّ وعادِيا

فى هذا البيت يذكرنا بحال زوجه مُلَيْكة ، وأنّه محافظ على عهده لهـا ، فليس بالرجل الذي يُشغل عن زوجه ، فهي تعلم عن شجاعته وعفته ، فلـيس بالذى يخون عهدا لها ، أو يميل إلى امرأة دونها، إنّ ذكـره لهـا فـي هـذا الموقف دليل قاطع على حبّه لها .

والبيت خبر ؛ الغرض من إظها الحنين لزوجه ، فى وقت راودته النّسوة ، فكان ذكرها فى هذا المقام تسلية لنفسه ، وتذكيرا له بما يجب عليه من حـق الوفاء لها ، وقد جاء بالخبر ماضيا لتأكيد مضمونه ، وزيادة فى التأكيد جـاء



بـ "قد "؛ وفى قوله " مُلَيْكَةُ " إطناب ؛ حيث إنّه جمع بين الاسم " **مُلَيْكَةُ** " والصفة " **عِرْسِي**" ؛ وفى ذكرها تلذذ وتسلية له عمّا فيه ، ومن الملاحظ أن المعنى جاء به مؤكدا فى قوله :" **أَنَّنِي أَنَا اللَّيْثُ**" ، وكان يمكنه أن يقول أنني الليث ، لكنه جاء بضمير المتكلم "أنا" لتأكيد المعنى المسوق له الكلام كما قلت، ولتأكيد أن الرجل أهل لأن يكون له ذكر فى الكلام فهو صاحب نفس أبية تعاف الرذيلة ، كما أنّه الليث شجاعة وقوة ؛ فليس بالغافل الذي يقع فى الرذيلة ، وإن دُعي إليها .

والكلام من قبيل التشبيه البليغ ، وهو إن كان تشبيها مبتذلا لكونه شائعا على اللسان ، فليس فيه طرافة ، إلاّ أنّ المقام يستدعيه ، فهو فى مقام يستدعي إبراز شجاعته ، ولن يجد المتكلم مشبها به ملائما للمقام أفضل من الأسد ، وحذفه للوجه والأدة و ذكره الطّرفين فقط ، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبهُ إلى مستوى المشبه به, ولا شك أنّ هذا مناسب للمقام كلّ المناسبة .

وهذا البيت من أكثر أبيات الشعر انتشارا فى كتب اللغة ؛ ذكره سيبويه فى "الكتاب " فى "باب ما كانت الواو والياء فيه لامات" ، وابن جني وغيرهما من أهل العلم ، براوية غير رواية صاحب المفضليات والتى اعتمد عليها الباحث ؛ حيث ذكره سيبويه منسوبا لعبد يغوث هكذا:(١)

وقد علِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي ... أَنَا اللَّيْثُ مَعْدِيا عليه وعادِيَا

والاستشهاد بقوله :" **مَعْدِيا** " حيث إنّه جاء به معلا، وهو من عدا يعدو،

---

(١) الكتاب ٣٨٥/٤

وكان حقه أن يقول: معدوا، كما تقول دعوته فهو مدعو وغزوته فهو مغــزو، ولكنه شبهه بالجمع فأعله"[١]

وكلمة "**مَعْدُوا** " كلمه مناسبة ومعبرة عن مراده فهي "موحية بالانقضاض والهجوم والشراسة والاندفاع "[٢]

وكلمة "**وعادِيا** " من المجاز المرسل ؛ علاقته السببية ، حيث ســمّى العقوبة اعتداء ليشاكل الفعل الأوّل ، فهو من باب قوله تعــالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٣] ،فسمَّاه اعْتــداء لِأَنَّــهُ مجــازاة اعتداءٍ فَسمى بِمثل اسْمه لِأَن صُورَة الْفِعْلَيْنِ وَاحِدَة وَإِن كَانَ أَحــدهمَا طَاعَــة وَالْآخر مَعْصِيّة، "إنّ مقابلة الاعتداء بمثله لا يُسَمَّى فى الأصل اعتداءً، ولكــنْ سوَّغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة، وليُعْطيَ اللَّفْظُ معنى المماثلة فــى تطبيــق العُقُوبَةِ دون زيادة، لأنّ معنى كلمة "اعتدى" فى الأصل تجاوز حُــدُود الحــقّ، ومن العدل أن يُقَابَلَ التجاوز مماثل له."[٤]

وبلاغة المجاز فى البيت الدلالة على شجاعة الرجل ، وأنّه ليس بالجبان الذي يسكت عن حقه ،كما أن فيه إشارة إلى عدله فى المجازاة ، فهو يرد بمثل ما اعتدي عليه ، لهذا السبب قدّم الاعتداء عليه قبل اعتدائه هو ؛ ليبيّن أنّه لا يبدأ بالشرّ ، ولا شك أن حديثه عن شجاعته وعفته وعدله فى المجازاة فى مثل

---

(١)شرح شافية ابن الحاجب٣/١٧٢

(٢) مصرع فارس في بلاد الغربة ١٢٢

(٣) البقرة من الآية ١٩٤

(٤) البلاغة العربية ٣/٤٨٣

هذا المقام ، يعكس ما يتحلى به من عزة وشجاعة تُملي عليه أن يـأبى الـذل وهو للموت أقرب من الحياة .



وقد يقال :إنّ حديث الرجل عن شجاعته لا ينسجم وتقديم الاعتداء عليه ؛ فكان الأولى أن يُقَدِّم اعتداءه على خصمه قبل اعتداء خصمه عليه ، قلت : إنّ ما فعله عبد يغوث لنكتتين ؛ الأولى لفظية وهي المحافظة علـى وزن البيـت وقافيته ، والأخرى سبق ذكرها وهي الدلالة على عدله ، فلفظـه أفـاد معنـى المماثلة فى تطبيق العقوبَةِ دون زيادة ، فلا يبدأ هو بظلم ، وإنّما يَرد الاعتداء بمثله ، وهذا من تمام العدل.

هذا وقدجاء البيت عند بعض أهل العلم برواية أخرى وهي :

ألا هَلْ أتى نِظْرِي مُلَيْكَةَ أنَّني ... أنا الليثُ مَعْدِيّاً عَلَيْهِ وعادِيا؟

ذكرها الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)فى الصحاح (١) ، ونقله عنه ابن منظـور فى " اللسان "، ثم أخذه الزبيدي في " تاج العروس "وهذا الكلام أصـله عنـد أبي عبيدة فى " مجاز القرآن"؛ حيث يقول :" والنظر والنظير سواء مثـل نـدّ ونديد،......."(٢) ثم ذكر صدر هذا البيت هكذا:

" **ألا هل أتى نظرى مليكة أنّنى**"

ولم أجد أحدا من أهل العلم ذكره بتلك الرواية غير أبي عبيدة ومن نقلـه عنه من أهل اللغة السابق ذكرهم ، والخلاف بين الروايتين بيّن فـى الصـدر

---

(١) الصحاح ٨٣٥/٢

(٢)مجاز القرآن ٢٥٧ ، المحقق: محمد فواد سزگين ، الناشـر: مكتبـة الخـانجى – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨١ هـ

الأوّل من البيت ، والسؤال : أيّ الروايتين أولى بالمقام ؟ رواية "المفضــليات "والتى اعتمد عليها البحث ؟ أم رواية أبي عبيدة ؟



أقول : إنّ رواية أبي عبيدة جاء الكلام فيها مبنيا على طريق الإنشاء " **ألا هَلْ أتى نظْري مُلَيْكَةَ أنَّني** ..."، والمعنى هل وصل لعرسه مليكة أنــه الليــثُ مَعْدِيّاً عَلَيْهِ وعادِيا؟

والاستفهام السابق إن حُمِل على حقيقته فإنّه لا ينسجم والمعنى المسوق لــه الكلام ؛ فإنّ المعنى أن زوجته تعلم شجاعته وقوته ، فهو الليث مَعْـدِيّاً عَلَيْــهِ وعادِيا ؛ وحمل الكلام على طريقة الاستفهام الحقيقي لا ينهض بهذا المعنــى ، فربما يكون الجواب على رواية أبي عبيدة عَلِمَتْ أو لا تَعْلَم ، فليس فى الكــلام التأكيد المراد ، وقد يقال : إنّ الاستفهام السابق حمّله الشاعر أشواقا جاشــت فى نفسه ؛ وهو شوقه الشديد لعرسه مليكة ، فأتى بهذا السؤال حتّــى يبقــى سؤالا يجيب عنه كلّ مسئول ، أمّا عرسه فهي تعلم شجاعته ، وسؤاله هــذا لا يقدح فى تلك الحقيقية .

لكنّ الوجه الأمثل الذى تحمل عليه رواية أبي عبيدة هو أن "هَل " فيهــا للاستفهام التقريري ، وهل فيه بمعنى " قد " ، على حد قوله تعــالى:" ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ " (١) ، وإيراد الخبر فى صورة السؤال فيه حث للمخاطب وإثارة له حتى يتحقق الخبر بنفسه ولمزيد من لفت الانتباه قدّم "ألا"؛ففيها لفت للمخاطب وإثارة، والمقام مناسب لهذا.

(١)الإنسان ١

لكن يبقى السؤال ؛ أيُّ الروايتين أولى ؟ وإذا كان الاستفهام يفيد تحقيق الحكم وتثبيته ، والرواية الأولى تفيد نفس المعنى ،فما الفرق ؟



أقول : إذا كانت الروايتان متفقتين فى تحقيق الحكم المسوق له الكلام ، فإنّ رواية المفضليات فيها فائدة ليست موجودة فى الثانية ؛ فالشاعر فى الأولى قال :" **عِرْسِي مُلَيْكةُ** "، وكلمة عرسي لا تطلق إلاّ على الزوجة ، وبهذا يجعل عبد يغوث كلامه خالصا لزوجه ، فلا يحتمل الكلام غيرها ، وهذا أدخل فى إثبات وفائه لها وقت مراودة النسوة له ، أما في الثانية " **نِظْرِي مُلَيْكَةَ**" فإن كلمة نظري تحتمل الزوجه وغيرها، فليس فيه الوفاء الخالص مثلما فى الأوّل ، وجعل الكلام فى هذا المقام خالصا لزوجته أفضل من جعله محتملا لها ولغيرها.

تأبين الشاعر نفسه:



١ـ وقد كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِل المَطِيِّ(١)... وأمْضِي حَيْثُ لا حَيَّ مَاضِيَا

٢ـ وأنْحَرُ لِلشَّرْبِ(٢)الكِرَامِ مَطِيَّتِي(٣)... وأصْدَعُ(٤)بَيْن القَيْنَتَيْنِ(٥)رِدَائِيَا

٣ـ وكنْتُ إذا ما الْخَيْلُ شَمَّصَهَا(٦)القَنَا ... لَبِيقاً(٧)بتَصْرِيفِ القَنَاة بَنَانِيَا

٤ـ وعاديَةٍ (٨)سوم الجراد(٩) وزَعْتُها ... بكَفِّي وقد أنْحَوْا(١٠)إليَّ العَوَالِيَا(١١)

٥ـ كأنِّيَ لم أرْكَبْ جَوَاداً ولم أقُلْ ... لِخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسِي عن رجاليا

---

(١) أي يتعب المطي لكثرة أسفاره .

(٢)الشَّرْبُ، بِفَتْحِ الشِّينِ وَسُكُونِ الرَّاءِ: الْجَمَاعَةُ يَشْرَبُونَ الخمْر. اللسان : شرب.

(٣)المَطِيَّةُ: النَّاقَةُ الَّتِي يُرْكب مَطاها. والمَطِيَّةُ: الْبَعِيرُ يُمْتَطى ظَهْرُهُ. اللسان :مطا .

(٤)الصَّدْعُ: الشَّقُّ فِي الشيءِ،و يُقَالُ: صَدَعْتُ الرِّدَاءَ صَدْعاً إِذا شَقَقْتَه.اللسان : صدع .

(٥)القَيْنةُ: الأَمة المُغنِّية.اللسان : قنن .

(٦) شَمّصها: شمصت الدابة: طردتها طرداً عنيفاً، وهو سرعة الجث.العين :شَمَص .

(٧)اللَّبِقُ: الْحَاذِقُ بِالشَّيْءِ يَعْمَلُهُ. وَرَجُلٌ لَبِقٌ وَلَبِيقٌ. وَالْمَصْدَرُ اللَّبَاقَةُ. قَالَ الشَّاعِرُ:لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا.مقاييس اللغة : لبق .

(٨)العادِيَة: الخَيْل تَعْدو،وقَدْ تَكُونُ العاديةُ الرِّجَالَ يَعْدون،وقِيلَ: العَادِيَةُ أَوّلُ مَا يحمِل مِنَ الرجَّالةِ دُونَ الفُرْسان.اللسان عدا .

(٩)الْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةُ: الْمُرْسَلَةُ وَعَلَيْهَا رُكْبَانُهَا.مقاييس اللغة : سوم ، والمعنى : تَنْتَشِرُ كَمَا يَنْتَشِرُ الْجَرَادُ .

(١٠)أَنْحَى لَهُ السِّلاحَ: ضَرَبَهُ بِهِ ، أَو طَعَنَهُ، أَو رَماهُ. ويقالُ: أَنْحَى لَهُ بسَهْم أَو غيرِهِ.تاج العروس : نحى .

(١١)العَالِيَة: أَعْلى القَنَاةِ، وأَسْفَلُها السافِلةُ، وَجَمْعُهَا العَوَالِي .اللسان : علا .

٦ـ ولم أسبإِ[١] الزِّقَّ[٢] الرَّويَّ ولم أقل ... لأيسار[٣] صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ ناريا

في هذه الأبيات يبكي الشاعر نفسه؛ فأخذ يذكر بعضا من مآثره ليعلم من ترك نجدته أنّه فقد عزيزا من أعزتهم ؛فذكر شيئا من كرمه وشجاعته ؛ فكان ينحر لجلساء الشراب مطيّته ، ويمضي في أماكن الخوف التي لا حيّ يمضي فيها غيره ، ثم تذكر مجالس الشراب ، التي كانت النشوة والطرب عنوانا لها ؛ فكان يشق رداءه إعجابا بالقيان ، ثم تحدث عن مهارته وخبرته بفنون الحرب والقتال ، وكيف كان يرد بكفِّه جيشا منتشرا كالجراد ، إلى غيرذلك من صفات الشجاعة والكرم ، والتي يتغنّى ويتسلى بها عن حاله .

البيت الأوّل:

وقد كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِل المـ... طِيِّ وأمْضِي حَيْثُ لا حَيَّ مَاضِيَا

يذكر الشاعر خبرا عن كرمه وشجاعته ؛ فقد كان نحّارا للجزور ، ومعملا للمطي ؛ أي يتعبها لكثرة أسفاره ، ثم يمضي إلى أماكن الخطر في وقت خاف كلّ حيٍّ أن يمضي إليها .

والبيت خبر؛ الغرض منه تأكيد كرمه وشجاعته ، وقد جاء الخبر مؤكدا على ما يقتضيه الظاهر ؛ حيث جاء بالماضي المقترن بـ"قد"؛ لتأكيد مضمون الكلام ، فالمخاطب بهذا الكلام مَنْ أسره من بني عبد شمس ، والمقام يقتضي تأكيد الخبر حيث إنّه يخاطب خصما منكرا ، وقد قال عبد يغوث لمّا أسره

---

(١)سبأت الخمر سبأ ومسبأ، إذا اشتريتَها لتشربها.ولا يقال ذلك إلا في الخمر خاصة.الصحاح : سبأ.

(٢)الزِقّ: السِقاءُ.الصحاح: زقق.

(٣)الْأَيْسَارُ: الْقَوْمُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَيْسِرِ، وَاحِدُهُمْ يَسَرٌ.مقاييس اللغة : يسر .

الفتى الأهوج: "**وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عبْشَمِيَّةٌ**........" فضحكها بمثابة إنكار مكانته، فكان تأكيد الكلام جاريا على ما يقتضيه الظاهر .



وقد يكون المخاطب بهذا الخبر أهله وعشيرته ، فهو على علم أنّ هذا الشعر يصلهم يوما ما ، وهذه الأفعال التى ذكرها ؛ من نحر الجزور وإعمال المطي وشجاعته مما لا ينكره قومه ، فهم يعلمون منه ذلك ، ويعرفونه حق المعرفة ، لكنهم بتخاذلهم عنه وتركهم نجدته نزلوا منزلة من ينكر هذه الأفعال فناسب هذا تأكيد الكلام ، وجملة " نَحَّارَ الجَزُورِ " كناية عن كرمه ؛ فَلا يكثر النحر إِلَّا لِكَثْرَةِ الأضياف ، وهي كناية شائعة على ألسنتهم فى المدح بالكرم ، وقد حسنت الكناية باعتمادها على صيغ المبالغة ، "نَحَّارَ" ، فنحره الجزور وإطعامه النّاس كان عادة وسجية له ، وهذا ملائم لمقام الفخر بالنّفس ، واستعمال صيغ المبالغة فى مقام ذكر مناقب الممدوح أو المرثي شائع فى شعر الجاهلية ، وهذه القصيدة التى بين أيدينا لم تكثر من صيغ المبالغة حال كثير من شعر الجاهلية فى المدح والرثاء ، فهذه الفارعة المرية [١]ترثي أخاها مسعود بن شداد فتقول :[٢]

---

(١)الفارعة بنت شداد أخت مسعود بن شداد المكنى بأبي زرارة من بني عذرة, من شاعرات العرب فى الجاهلية ولم يترجم لها بغير مناسبة رثاء أخيها هذا. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ٦٩،جمعه ورتبه : بشير يموت ،الناشر: المكتبة الأهلية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م

(٢)الأمالي لأبي علي القالي٢/٣٢٤ ،عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي ،الناشر: دار الكتب المصرية ، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م ، وحماسة القرشي٢٢١، المحقق : خير الدين محمود قبلاوي ،الناشر : وزارة الثقافة، =

شهادُ أنديةٍ، رفّاع أبنيةٍ ... شدّاد ألويةٍ، فتّاح أسدادِ

نحَّار راغيةٍ، قتّال طاغيةٍ ... حلاّل رابيةٍ، فكّاك أقيادِ

قوّال مُحكمةٍ، نقّاضُ مبرمةٍ ... فرّاج مبهمةٍ(١)، حبّاس أورادِ(٢)

حلاّل ممرعةٍ(٣)، حمّال معضلةٍ ... قرّاع مفظعةٍ،طلاّع أنجادِ(٤)



كثرة صيغ المبالغة في الشعر السابق واضحة ؛ حيث إنّ حديثها فى رثاء الأخ، والمرأة بطبيعتها ضعيفة تحتاج إلى أخيها ؛ فصيغ المبالغة بالنسبة لها بمثابة صراخ وعويل ، يخفف شيئا من ألم الفراق، أمّا عند عبد يغوث ، فالرجل صلب ، لا يلين أمام أسره وقتله .

ثم تلت الكنايةَ السابقةَ كنايةُ أخرى تمضي فى طريقها من الفخر ؛حيث إنّ قوله : "**ومُعْمِل المَطِيِّ**"بمعنى أنّه متعب مطيته ، فهي كناية عن كثرة أسفاره ورحلاته ، وهذه الكناية تحمل معنى خفيا يهمس به هذا الشعر ولا يستطيع أن يصرِّح به قائله ؛ ألا وهو التحسر الشديد على ما هو فيه من أسر وقيد ، فصورة الكناية رسمت صورة للحرية والانطلاق فى أي مكان في الأرض ، فأين

=

الجمهورية العربية السورية، دمشق ، الطبعة : (بدون) ، ١٩٩٥ م

(١)استَبْهَم عَلَيْهِمُ الأَمرُ: لَمْ يدْرُوا كَيْفَ يأْتون لَهُ. واستَبْهَم عَلَيْهِ الأَمر أَي استَغْلَق.لسان العرب : بهم .

(٢)الوِرْدُ: الوُرّادُ وَهُمُ الَّذِينَ يَرِدُون الْمَاءَ. اللسان : ورد .

(٣)المُمْرِعةُ: الأَرض المُعْشِبةُ المُكْلِئةُ. ومَرِعَ الرَّجُلُ إِذا وَقَعَ فِى خِصْبٍ، ومَرِع إِذا تَنَعَّمَ. ومكانٌ مَرِعٌ ومَرِيعٌ: خَصِيب. اللسان : مرع .

(٤)كل شرفٍ من الأرضِ استوى ظهره فهو نجدٌ، ويجمع على أنجاد . العين : نجد .

هو من هذا ؟، وللتأكيد على هذه المعاني من الحركة والسعي جاء بكناية أخرى فى قوله :"**وأمْضِي حَيْثُ لا حَيَّ** مَاضِيًا" كناية عن شجاعته ، فهو رجل يركب الخطر ، يذهب إلى المكان الذي لا يستطيع حيٌّ أن يذهب إليه ، وبلاغة الكناية تتمثل فى تجسيدها تلك الصورة المعنوية ، وإبرازها للسامعين، فقد جعل الخطر مشاهدا ، و أراك كلَّ حيٍّ تقاعس عن الذهاب إليه ، وإذا بعبد يغوث يقتحمه غير مبال بعواقب الأمر ، والمبالغة فى الكناية واضحة ، حيث ذكر أنه يمضي حيث لا حيّ يمضي ، فقد رسمت لك صورة الأحياء جميعهم وقد خافوا هذا المكان ، و طار هو إليه ، فالرجل فاق كلَّ حيٍّ فى الشجاعة ، ولمزيد من المبالغة قال " **حَيْثُ لا حَيَّ مَاضِيًا**"، دون أن يقول وأمضي حيث لا إنسان ماضيا؛ إنّ الكلمة التي جاء بها عبد يغوث تكشف عن موهبة فذة فى انتقاء الكلمة المعبرة ؛ إنّ كلمة "**حيَّ**" تشمل كلَّ مخلوق فيه حياة ؛ تشمل الإنس والجن والحيوان ، فكل ما فيه حياة خاف أن يمضي إلى هذا المكان الخطر ، فقد بلغ فى الخطر الغاية ، حيث خافه كلُّ ذي حياة واقتحمه هو . إنّ الكنايتين السابقتين بقدر إفادتهما للشجاعة فإنّهما يفيدان الحسرة على زمن مضى كان لا يعرف إلاّ الحرية والانطلاق.



ثم انتقل إلى مجال آخر فى الفخر، يمضي على نهج البيت السابق فقال:

وأنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيَّتِي ... وأصْدَعُ بَيْنَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا

يذكر عبد يغوث أنه كريم ؛ ينحر مطيّته للشاربين ، ثم يشق رداءه نصفين طربا لغناء الجاريتين .

والبيت السابق اشتمل على كنايتين ؛ الأولى : " **وأنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيَّتِي**" وهي كناية عن كرمه الزائد ، ففى البيت الذى سبق هذا البيت ذكر أنّه كان نحارا للجزور ، وإذا به ينتقل لكناية أخري تمضي فى طريق سابقتها فى الدلالة

على الكرم ، وبلاغتها المبالغة فى وصفه بالكرم ، ثم ما تفيده من تشخيص للصورة وجعلها حاضرة ، وقد حسنت هذه الكناية بمجيء الفعل مضارعا ، :"**أنْحَرُ**" ؛حيث إنّه ينسجم مع الكناية فى استحضار الصورة التى أراد أن يجعلها ماثلة للمخاطب .



هذا ومن الملاحظ أنّ هذه الكناية تنزل من الكناية التى سبقتها منزلة الخاص بعد العام ؛ حيث ذكر فى الأولى أنه نحّار للجزور ، والنحر هنا عام يدخل فيه نحره لرفقاء الشراب وغيرهم ، ثم يدخل فيه كلّ ما يملكه من الجزور، يمتطيه أولا ، ثم ذكر فى الثانية نحرا خاصا ؛ وهو نحره للشرب الكرام ؛ وهم جلساؤه على الشراب ، ثم خصّ من بين الجزور مطيَّته ، وهي الناقة التى يمتطيها ، وهي داخلة ضمنا فى قوله :" **نَحَّارَ الجَزُورِ** "، لكن ليس كلّ جزور يمتلكه يمتطيه.

إنّ الكناية الثانية تتفق مع الأولى فى تأكيد مدحه بالكرم ، ثم فيها مبالغة ليست موجودة فى الأولى ؛ ألا وهي الدلالة على أنه يذبح مطيته التى يركبها ، وهذا غاية الكرم ، فذبحك الجزور أمر حسن ، والأحسن منه أن يقع الذبح على التى تحتاج إليها للركوب ، ففيها إيثار الغير على النفس.

وقد فصل الشاعر بين الفعل"**أنْحَرُ**" والمفعول " **مَطِيَّتِي**" بالجار والجرور والصفة :" **لِلشَّرْبِ الكِرَامِ**" ،وبلاغة هذا الفصل المحافظة وزن البيت من جهة ، والمسارعة إلى ذكر الشرب الكرام من جهة أخرى ، فهم أحبابه وجلساؤه ، فحق له أن يقدمهم ، ولبيان منزلة جلسائه وصفهم بـ" **الكِرَامِ**"؛ ولعلّ هذا من باب التعريض ببني عبد شمس ، فأين كرمهم له من كرمه لجلسائه ، وربما تكررت الكناية التي تدل على الكرم فى بيتين متتابعين لهذا الغرض ، فهو

يهمس فيهم من طرف خفي أن يكرموه ، فهو كريم ، يكرم جلساءه الكرام ، إذا فليكرم بنو عبد شمس أسيرهم الكريم .

هذا وقد ورد البيت برواية أخرى عند ابن عبد ربّه فى " العقد الفريد" هكذا:(١)

وأعْقِرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيَّتِي ... وأصْدَعُ بَيْنَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا

والفرق بين الروايتين بيّن فى صدر البيت ؛ فرواية المفضليات والتى اعتمد عليها البحث جاءت بالفعل :" **أنْحَرُ**" ، والثانية جاء الفعل :" **أعْقِرُ** "، فأيُّ الروايتين أولى بالقبول؟

أقول : إنّ النظرة الأولى توهم أنّ اللفظتين سواء فى المعنى ، وأن محاولة إيجاد فرق بينهما ضرب من التكلف ، ولست إلى هذا الكلام أميل ؛ فما من كلمتين فى العربية ظاهرهما الترادف إلاّ وبينهما فرق دقيق ، لا سيما في الكلام العالي ، كالذكر الحكيم والحديث الشريف والشعر الجاهلي ، وما نحن بصدده من هذا القبيل ، والسياق هو الذي يقدِّم وجها على آخر ، وهذا جانب خصب من الدراسات البلاغية .

وبالنظر فيما قاله أهل اللغة فى معنى الكلمتين نجد العقر يسبق النّحر فى الفعل ؛ فعقر البعير ضربه فى قوائمه حتى يسقط فتتمكن منه ، ثم تنحره من أعلى الصدر ، يقول الخليل :"عَقَرْتُ الْفَرَسَ، أَيْ كَسَعْتُ قَوَائِمَهُ بِالسَّيْفِ ،

---

(١)العقد الفريد ٨٥/٦، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ

وفرسٌ عَقِيرٌ معقورٌ ، وكذلك يُفْعَلُ بالنَّاقة، فإذا سَقَطَتْ نَحرَها مُسْتَمْكِناً منها."(١)



وعلى هذا تكون رواية ابن عبد ربّه من قبيل المجاز المرسل الذى علاقته السببية، فالعقر سبب فى النحر، يقول الأزهري :" والعَقْر عِنْد الْعَـرَب: كَسْـف عرقوب الْبَعِير، ثمَّ جُعِل النَّحر عقراً لأنّ العَقْر سببٌ لنحره، وناحِرُ الْبَعِير يَعقِره ثمَّ ينحره." (٢)، وقد أخذ هذا الكلام الرازي فى تفسيره قَوله تَعَـالَى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾(٣) ، ثم قال :" وَلَمَّا كَانَ الْعَقْرُ سَبَبًا لِلنَّحْرِ أُطْلِقَ الْعَقْرُ عَلَى النَّحْرِ إِطْلَاقًا لِاسْمِ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ."(٤)

فالرواية الأولى خالية من المجاز ، والنحر فيها علـى حقيقتـه ، وعلـى الثانية يكون الكلام مجازا ،والذي تميل النفس إليه هو الرواية الأولى : "أَنْحَرُ" ، فحمل الكلام على الحقيقة ــ فى هذا المقام ــ أولى من حمله علـى المجـاز لسببين ؛ الأول: حيث إنّ فيه اتفاقا مع لفظ الكناية الأولى التـي سـبقت هـذه الكناية "**وقد كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ**" ، فاللفظ فيهما واحد ، وورود الكلام على وتيرة واحدة أولى من حمله على وتيرتين مختلفتين دون داع ، الثـاني : أنّ الـذى يتفق وكمال المدح بالكرم هو حمل الكلام على حقيقته كما جاء فـى الروايـة الأولى ؛ لأنّ قوله: "أَنْحَرُ" يفيد ذبح مطيته بالفعل ، فلا أمل فى حياتها ، فهـي بمثابة المطعوم الآن ، أمّا حمل الكلام على المجاز فلا يتفق وكمال المدح الذي

---

(١) العين :ع ق ر

(٢) تهذيب اللغة : ع ق ر

(٣) الأعراف من الآية ٧٧

(٤)مفاتيح الغيب ٣٠٧/١٤ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعـة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

يريده عبد يغوث ؛ حيث إنّ العقر ضرب قوائم البعير تمهيدا لنحره ، فهو وإن كان شروعا فى الذبح لكنه ليس نهايته تماما ، فما زالت الحياة فيه ، ووجود الحياة فيه تبعده عن المبالغة التي يقتضيها المقام .



الكناية الثانية التى اشتمل عليها البيت قوله :"**وأصْدَعُ بَيْن القَيْنَتَيْنِ رِدائِيَا** "، وهي كناية عن شدة طربه واهتزازه من غناء القينتين ، فقد بلغ إعجابه بهما أن شقَّ رداءه نصفين لهما ، وبلاغة الكناية تتمثل في تصويرها هذا المشهد خير تصوير ؛ حيث أرتك عبدَ يغوث وهو يتمايل طربا وارتياحا بما يسمع منهما ، ولا شك أنّ هذه الكناية تخلع على الرجل شيئا من الطرب ، فيذهب بعيدا ينسج على منوال الماضي حديثا يدخل أنسا وتسلية على نفس هي للموت أقرب من الحياة .

قوله :

وكنْتُ إذا ما الْخَيْلُ شَمَّصَهَا القَنَا ... لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا

بعد أن حدّثنا الشاعر عن كرمه لرفقاء المجلس ، وشقه رداءه للمغنيتين أنسا وطربا، عاد للحديث عن شجاعته وبطشه ، وخبرته الفائقة فى الحرب والقتال ، فالرجل حياته بين الكرم والطرب ، ومعمعة الحرب .

البيت خبر ، الغرض منه بيان شجاعته ومهارته بالحرب ، وقد جاء الخبر ماضيا "**كنْتُ** " لتأكيد حدوثه ، ولمزيد من التأكيد جاءب" إذا "، فالرجل إذا ما ذعرت الخيل وفرّت من كثرة ما يصيبها من الرماح ، رأيته لبيقا بتصريف القناة .والبيت اشتمل على كنايتين ؛ الأولى : فى قوله : "**الْخَيْلُ شَمَّصَهَا القَنَا**" ، فهي كناية عن شدة القتل ، واحتدام المعركة ، وبلاغة الكناية المبالغة فى وصف الشاعر بالشجاعة ، فاحتدام المعركة ، وتهييج الخيل ، وسوقها سوقا

عنيفا ، دليل ثباته وشجاعته ؛ حيث إنّ هذا وقت يثبت فيه الشجاع ويفرُّ فيه الجبان ، كما تفيد الكناية تجسيد تلك الصورة وجعلها ماثلة ، فأصبحت تنظر إلى المعركة وقد اشتدت ، وهاجت الخيل ، وفرّ الجبان ، ورأيت عبدَ يغوث سيدَ المعركة وقائدها .



هذا وقد ذكر البغدادي أن للبيت روايتين غير رواية "**شَمَّصَهَا القَنَا**" ؛ فبعد أن ذكر الرواية السابقة قال :" ويروى: شمَّسها بِالسِّين وَهِي أَجود. ويروى: نفَّرها "[١] ، ما ذكره البغدادي ليس نقلا لوجهين في الكلمة فحسب ؛ بل وقف من هذه الروايات موقف الناقد ؛ حيث ذكر أن رواية شمَّسها بِالسِّين أَجود ، ولم يذكر العلة التى قدّم بها رواية السين على الصاد ، وهذا يحتاج إلى الرجوع لما قاله أهل اللغة فى الفرق بين هاتين المادتين ، حتى نقف على الوجه الأمثل للبيت .

ذكرالخليل أن معنى هذه الكلمة هو طرد الدابة طردا عنيفا ، ولا تقال إلاّ بالصاد ، جاء في معجم العين: " يقال :شمصت الدابة: طردتها طرداً عنيفاً، وهو سرعة الجث. لا يقال هذا إلا بالصاد"[٢] ، وبهذا قال الأزهري فى تهذيب اللغة ، وكلمة "شَمَسَ" وإن كانت تحمل معنى الطرد والحث إلاّ أنّ هذا المعنى فى شمّصا أشد ، والمناسب للمقام أن تجعل الخيل تطرد طردا عنيفا وتذعر ذعرا شديدا ، فهذا الذى يجسد شدة المعركة ، ومنه تصل لشجاعة عبد يغوث ، وأمّا رواية "نَفَّرها " التى ذكرها البغدادي فلم أجد أحدا من أهل العلم قال بها ، وسكوت البغدادي فى التعليق عليها لا ينهض بتقديمها على غيرها .

---

(١) خزانة الأدب ٢/٢٠١

(٢)العين ش م ص

الكناية الثانية فى قوله :" **لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا** " ؛وهي كناية عن مهارته الفائقة فى استعمال القناة ، فلحذاقته وبراعته لا يحتاج إلى أن يملأ كفه بها ، بل هو قادر على أن يمسكها ببنانه ، وهي كناية لطيفة ، تكشف عن موهبة فذة فى الحرب والقتال ، فالخفة والبراعة فى مسك القناة وغيرها من أدوات الحرب مما يمتدح المرء به فى ساحة القتال ، وقد جعل المرزوقي فى شرحه ديوان الحماسة بيتَ عبد يغوث شبيها بقول ابن زيَّابة التَّيْمِي الجاهلي:[١] :



الرمْح لَا أملأ كفي بِهِ ... واللبد[٢]لَا أتبع تزواله

فبعد أن شرح البيت السابق قال :" ومثله قول الآخر:**لبيقاً بتصريف القناة بنانيا** "[٣] ، وقد علّق المبرد على قول ابن زيّابة هذا بقوله :" قوله:" **الرمح لا أملأ كفي به** "يتأول على وجهين: أحدهما: أن الرمح لا يملأ كفي وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرمح وبالقوس وغير ذلك. والقول الآخر أني لا أملأ كفي به إنما أختلس به كما قال الشاعر:

---

(١)ابن زَيَّابة: بمثناة تَحت مُشَدّدَة ، وَبعد الْألف مُوَحدَة: ابْن زيابة التَّيْمِيّ، شاعرٌ جاهلي، اسْمه عَمْرو بن الْحَارِث، وَقيل: سَلمَة بن ذهل.عرف بنسبته إلى أمه ، وقيل ابن زبابة والزبابة فأرة من فئران الحرة.معجم الشعراء ٢٠٨ ، بتصحيح وتعليق : كرنكو ، الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، توضيح المشتبه فى ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ٣٠٤/٤ ، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م .

(٢)اللِّبْدُ :مَا تَحْتَ السَّرْجِ . تاج العروس : لبد

(٣)شرح ديوان الحماسة ١٠٧

ومدجّج سبقت يداي لَهُ ... تَحت الْغُبَار بطعنةٍ خلس

وقوله: "**واللبد لا أتبع تزواله**" يقول: إن انحل الحزام فمال اللبد لم أمل معــه، أي أنا فارس ثبتٌ."(١) ،يفهم من كلام المبرد أنّ البيت يحتمل أن يكون كناية عن سرعته وحذاقته فى الضرب ، وهذا مستفاد من كلام عبد يغوث ، وكناية أخرى تتمثل فى أن الرجل لا يملأ كفه بالسيف ؛ لأنه يمسك معه غيــره مــن أدوات القتال ، ويمكن أن يقال هذا فى قول عبد يغوث، " **لبيقاً بتصريف القناة بنانيا** "، فالرجل لمهارته يمسك قناته ببنانه فقط وباقي كفّه يجعل فيه شيئا آخر مــن آدوات الحرب ،كالسيف والرمح والدرع وهكذا ، وكلام المبرّد السابق رائع فى بيان هذه المعاني .



هذا ويقول الواحدي في شرحه ديوان المتنبي بعد أن ذكر قوله:

نصرِّفُه للطّعْنِ فوقَ حواذرٍ ... قد انقصفَتْ فيهنّ منهُ كِعابُ

:"والبيت من قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي:(٢)

وكنْتُ إِذا ما الْخَيْلُ شَمَّصهَا القَنَا ... لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا

يقول العكبري فى شرحه بيت المتنبي" نصرفه يُرِيد القنا أى ننقلــه مــن حَال إِلَى حَال والحواذر الَّتِى تحذر الطعْن وَقيل لَا تحــذر هَــذِه الطعْــن لِأَنَّهَــا

---

(١)لكامل فى اللغة والأدب ٢٨٨/١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشــر: دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هــ – ١٩٩٧ م

(٢) شرح ديوان المتنبي للواحدي ١٨٩/٣، طبعة شركة القــدس ، القــاهرة ، تــاريخ النشر ٢٠١٠م.

معودة........قد تعودت الطعْن وَقَد تَكَسَّرَتْ الرماح فِيهَا"[١]

المعنى الذى يدور حوله بيت المتنبي يتفق مع بيت عبد يغوث ؛ وهو المهارة والحذاقة فى تصريف القنا ساعة القتال ، وبيت عبد يغوث أحكم فى الدلالة على هذا المعنى من بيت المتنبي ؛ حيث إنّ عبد يغوث كان دقيقا فى التعبير ، فذكر أنّه ماهر فى تصريف القنا ببنانه ، وهذا يعكس أنّه يصرّفه ببعض اليد ولا يملأ كفه بها ، فيترك مكانا آخر فى كفه لرمح أو سيف ، أو من حذاقته يصرفها ببعض كفه فقط ، أمّا بيت المتنبي فليس فيه تلك الإشارة الدقيقية ، فهو ماهر بتصريف القنا وقت الحرب فحسب، دون إشارة إلى تلك المعاني الرائعة التى عند الحارثي ، كما أنّ المتنبي قال : "**نصرِّفُه**" فجعل المهارة للجميع ، أمّا عبد غوث فجعل الفعل لنفسه فقط ؛ فهو وحده رجل الحرب ، لا يزاحمه فى الشجاعة والمهارة أحد ، وهذا أبلغ فى الفخر ، أنّ يجعل المتكلم نفسه فردا مميزا عن باقي جنسه ، حتّى كأنّه ليس منهم ، بهذا يتبيّن لنا أنّ المتنبي أخذ هذا المعنى من عبد يغوث وقصَّر عنه ، ولم يزد عليه شيئا ، وجاء أقل فائدة من بيت عبد يغوث.

بعد ذلك انتقل الشاعر إلى صورة جديدة لشجاعته ومهارته فى القتال ؛فقال:

وعادِيَةٍ سوم الجراد وزَعْتُها ... بِكَفِّي وقد أنْحَوْا إِليَّ العَوَالِيَا

فى هذا البيت يصف عبد يغوث مشهدا من مشاهد شجاعته وخبرته فى

---

(١) ينظر شرح ديوان المتنبي للعكبري ١/١٩٣ ، المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي الناشر: دار المعرفة – بيروت.

ميدان القتال ؛ فبعد أن ذكر فى البيت السابق أنّه خبير بتصريف القناة ، ذكر هنا أنّه بإمكانه أن يرد بكفّه جيشا كبيرا منتشرا انتشار الجراد ، وقد قصدوه برماحهم ، فاستطاع ردهم بكفّه .



و البيت كناية عن شجاعته ومهارته فى القتال ، وبلاغة الكناية تتمثل فى تصويرها وتجسيدها صورة جيش منتشر انتشار الجراد ، وقد أمسكوا رماحهم، يريدون الرجل ، فغلبهم وردهم بكفه ، والكلام وإن كان قائما على المبالغة ، إلاّ أنها مبالغة مقبولة فى هذا المقام ، لا تشعر فيها بكلفة ، وإنّما يطلبها السياق ويقتضيها ، وقد زاد فى جمال الكناية السابقة التشبيهُ البليغ فى قوله : "**وعادِيَةٍ سوم الجراد** " ؛ حيث شبه العادية والمراد بها الجيش الكبير فى كثرته وانتشاره فى كلّ مكان ، فلا تستطيع عدّه ، أو تحديد الجهة التي يأتيك منها بالجراد المنتشر ، ووجه الشبه الكثرة والانتشار فى كل ، وبلاغة التشبيه تتفق مع الكناية السابقة من المبالغة فى إثبات شجاعته ، والتشبيه بالجراد فى هذا المقام من أبلغ ما يكون التشبيه فى الدلالة على شجاعة الرجل ومهارته فى الحرب ؛ حيث إنّ الجراد يرمز إلى الهلاك والدمار من جهة ، وكثرته كثرة من المحال أن تقف على عدده ، ثم انتشاره فى كلِّ جهة ،وإحاطته بالمكان إحاطة تامة ، ولو كان الجيش قادما من جهة واحدة لكان الخطب هيّنا ، أمّا بهذه الصورة فليس لدفعه سبيل ، ومع ذلك ردّه عبد يغوث بكفه ، وكلمة "**بِكَفِّي**" مجاز مرسل علاقته المحلية ؛ حيث عبر بالمحل "الكف " وأراد الحال فيه وهو الرمح ، مبالغة في شجاعته وثباته.

ولك أن تتأمل كلمة" **وعادِيَةٍ** " ، والعادية: القوم يعدون من العدو وهو الركض ، و ما تحمله من تصوير لصورة الجيش وهو متأهب للقتال ، إنّ المقام يقتضي بيان قوة هذا الجيش وبطشه ؛ حتى تصل منه لقوة عبد يغوث

ومهارته .

هذا وقد جاء بالماضي " **وزَعْتُها**" خاليا من التقييد بـ"**قد** "، ثم جاء به مقترنا بها فى قوله : "**وقد أنْحَوْا إِليّ العَوَالِيَا**" ، وإنّما فعل ذلك لنكتة مهمة تتفق ومقام الفخر ؛ لأنّ الفعل الأول متعلق بالشاعر ؛ وهو قدرته على ردّ جيش منتشر كالجراد بكفّه ، وأراد الشاعر أن يلبس هذا المعنى ثوب الحقيقة التى لا يشك فيها أحد ، فناسب ذلك أن يأتي به خاليا من أي تأكيد ، فخبرته بالحرب وشجاعته من الحقائق التى لا ينكرها أحد ، أماّ الفعل الثاني المقترن بقد فإنّه يكشف حرص القوم على قتله ، واجتماعهم على ذلك ، فجاء بـ " **قد** "لتأكيد هذه المعنى . ومعنى "**وقد أنْحَوْا إِليّ العَوَالِيَا**" أي الرماح: أمالوها نحوه وقصدوه بهَا ، وهي تفيد حرص الجيش على قتله ، فهو فارس المعركة ورجلها الأوّل الذى يبحث عنه الجميع .

هذا وقد ورد البيت فى العقد الفريد برواية أخرى هكذا :

وعادِيَةٍ سوم الجراد وزَعْتُها ... بِرمْحِي وقد أنْحَوْا إِليّ العَوَالِيَا

الاختلاف فى هذه الرواية يتمثل فى قوله :"**بِرمْحِي** " بدلا من "**بكَفِّي** " ، فرواية المفضليات تفيد أنّه ردّ الجيشَ بكفّه ، ورواية صاحب العقد تفيد أنّ الرّد كان بالرمح لا بالكف.

والرواية التى تتفق مع السياق هي الرواية الأولى ؛ التى اعتمد عليها البحث ، فيكون الرد بالكف لا بالرمح ؛ والكلام على الروايتين قائم على المبالغة، إلاّ أنّ ردّ الجيش بالكف أبلغ فى إثبات الشجاعة والمهارة من ردّه بالرمح ؛ فهذا أمعن في إثبات القوة ، إنّ الذى يتفق وكمال المبالغة فى الشجاعة أن تجعل الرجل غير محتاج لهذه الأدوات ليدفع بها عن نفسه ،

فصدره درع ، وبنانه سيف ، وكفه رمح.

هذا وقد ورد بيت متشابه تشابها كبيرا عند النابغة الجعدي(١) ببيت عبد يغوث السابق ؛ يقول النابغة:(٢):



وعاديةٌ سوم الجرادِ وزعتها ... فكلفتها سِيداً أزل مصدّراً(٣)

---

(١)النابغة الجعدي : اسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيع بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. هكذا نسبه أبو عبيدة وابن الكلبي وأكثر أهل العلم. يكنى أبا ليلى وكان شاعراً مفلقاً طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام وكان أكبر من النابغة الذبياني وبقي بعده بقاءً طويلاً وهو أحد المعمرين يقال إنه عاش من العمر مائتي سنة وقيل أقل من ذلك وكف بصره بعد أن أسلم وحسن إسلامه وبلغ إلى فتنة ابن الزبير ومات بأصفهان. وهو أحد نعات الخيل روي أنه لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

قال له: أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال : الجنة. قال : أجل إن شاء الله تعالى. معجم الشعراء ٣٢١، تصحيح وتعليق : كرنكو ، الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

(٢) المعاني الكبير فى أبيات المعاني ٣٥/١،المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ) ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن ، بالهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م]

(٣) معنى البيت : يقول ابن قتيبة " عادية حاملة، يقال رأيت عديّ القوم أي حاملة القوم فى الحرب، سوم الجراد أي مضيه يريد أنها تنتشر كما ينتشر الجراد، ووزعتها كففتها، وكلفتها سيداً أي جعلت مؤونة هذه العادية على فرس يشبه الذئب، والأزل =

فهذا يعد من قبيل السرقة أم هو من المعاني المشتركة ، التي يقع عليها الجميع ؟



النابغة الجعدي شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو متـأخر عـن عبد يغوث ، والبيت السابق يتفق مع بيت عبد يغوث إلى حدٍّ كبير ؛ فى وزنه ، و كثير من ألفاظه، وأسلوبه، والتشبيه بالجراد فى الانتشار والكثرة .

وقد يقول قائل إن تشابهما فى اللفظ من وقوع الحافر على الحافر ، كما أنّ التشبيه بالجراد شائع جار على ألسنتهم ، فتقارب الزمان ، والبيئة المشتركة التى عاش فيها الرجلان ربما تكون سبب توافقهما فى القول ، كما يقول صاحب " البديع فى نقد الشعر" :"وإذا تقاربت الديار تقاربت الأفكار، ولهذا قالوا: الشعر محجة يقع فيها الحافر على الحافر "(١)

إنَّ الطريق التى جاء عليها بيت الجعدي تتفق إلى حد ما مع عبد يغوث ؛ فى الوزن ، وكثير من اللفظ كما أشرت ، والتشبيه بتلك الصورة ، لكن هل قرب بيئتهما وزمانهما سبب هذا التشابه ، وليس فى الكلام أخذ ، وإنّما هو من باب وقوع الحافر على الحافر كما قال صاحب البديع ؟

أقول : المعاني العامة مشتركة بين الجميع ، لا يصح ادعاء الأخذ فيها ،

=

الأرسح وهو من صفة الذئب لا من صفة الفرس." المعاني الكبير فى أبيات المعاني ١٣٥/١

(١)البديع فى نقد الشعر ٢٩٦، بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة



فلا يختص بها أحد دون أحد ، فالكل فيها سواء ، أمّا المعاني الخاصة فهي التى تحتاج تأملا ورويّة ، فلا تصل إليها إلاّ بعد مشقة وفكر ، فهذا مما يمكن القول بالأخذ فيه ، وقد بيّن الشيخ عبد القاهر أن المعاني العامة إذا تناولها الشاعر بطريقة معينة ، وألبسها ثوبا طريفا ، غير حالها الأول ؛ فإنّه يمكن القول بالأخذ ، يقول الشيخ عبد القاهر :" واعلم أن ذلك الأوّل الذى هو المشتَرك العاميّ، والظاهر الجليّ، والذي قلتُ إنّ التفاضلَ لا يدخله، والتفاوتَ لا يصحّ فيه، إنما يكون كذلك ما كان صريحاً ظاهراً لم تلحقه صنعة، وساذَجاً لم يُعمَل فيه نقش فأَمَّا إذا رُكِّب عليه معنًى، ووُصل به لطيفة، ودُخل إليه من باب الكناية والتعريض، والرَّمز والتلويح، فقد صار بما غُيِّر من طريقته، واستُؤْنِف من صورته،واستُجِدَّ له من المِعرَض، وكُسي من دَلّ التعرض، داخلاً فى قبيل الخاصّ الذى يُتملَّك بالفكرة والتعمُّل، ويُتوصَّل إليه بالتدبُّر والتأمُّل "(١)

وبيت عبد يغوث من النوع الثاني ، فالتشبيه بالجراد شائع مشهور ، غير أنّ الرجل تناوله بطريقة خاصة ، فيكون المعنى له ، فأخذه الجعدي بتلك الطريقة ، وعليه يكون ما صنعه الجعدي من قبيل الأخذ .

هذا وبيت عبد يغوث أمعن فى إثبات الشجاعة من قول الجعدي ؛ حيث ذكر الحارثي أنّه يرد الجيش بكفه ، دون إشارة إلى شيء آخر مما يُردُّ به ، أمّا النابغة فردّه الجيش عام دون تخصيصه بكف أوغيره ، والنّص على الكف فقط أولى من جعل الكلام عاما .

---

(١)أسرار البلاغة ٣٤٠، ٣٤١، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة

قوله:

كأنِّيَ لم أرْكَبْ جَوَاداً ولم أقُلْ ... لِخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسِي عن رجاليا

ولم أسبإ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقل ... لأيسار صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ ناريا



هذان البيتان هما خاتمة هذه القصيدة ، ويحملان صورة أخـرى لشـجاعته وكرمه ، وهما وإن كانا يسيران فى طريق الأبيات السابقة من الفخر ، إلاّ أنهما يحملان من الحسرة على ما مضى ما يحملان ؛ فهل من المعقـول أن يكـون الفارس الذى يركب جواده للكر على الأعداء ، ونصرة أهله أسيرا ؟ وكأنّ هذا كلَّه لم يكن ، وكأنّه لم يشتر الخمر ويسقي جلساءه الكرام ، وكأنـه لـم يقـل لأيساره أعظموا النّار ؛ ليهتدي بها الناس للإكرام.

البيت الأوّل من هذين البيتين خبرٌ ، الغرض منه الفخر بشجاعته ؛ والتسلية لما نزل به ، فالرجل يتسلى بحديث الماضي عمّا يعانيـه ، كمـا تلمـح فيـه التعريض بقومه ، ألا يذكرون فارسهم الذى كان يحميهم، وصديقهم الذى كان يقريهم ، إنّه العار أن يتركوه أسيرا ، وكم برع الشاعر فى التعبير عمّا يعانيه ، وما يرمي إليه ، تأمل المضارع المنفي "**لم أرْكَبْ**" **و لم أقُلْ** "، وما يوحي به من معان لا تأتيك من طريق الماضي الصريح ، إنّ التعبير بالمضارع المنفـي يفيد تصوير هذا المشهد الموغل فى القدم وجعله بارزا يراه الآن ، فهذا التعبير نقل الشاعرَ من واقع الأسر وانتظار القتل إلى صورة جميلة ؛ وهـي صـورته وهو يركب جواده للقتال ، وصورته وهو يأمر خيلَه " **كُرِّي نَفِّسِي عن رجاليا**" وتوجيه الأمر " **كُرِّي نَفِّسِي** " للخيل ــ وهي مما لا يَعْقِل ــ يكشف عن موهبـة فذة فى الحرب والقتال ، فالقناة يصرِّفها ببنانه ، والجيش المنتشر كالجراد يرده بكفه ، والخيل تستجيب لأمره ، فكل شيء صار تحت إمرته ، والفعل السـابق تلمح فيه الرغبة الشديدة فى الاقتحام ، دون المبالاة بالعواقب ، ثم يأتي الأمـر

الثاني "**نَفِّسِي**" كلمة دقيقة فى موضعها ؛ فهي مأخوذة من تنفيس الخناق ، وهو الحبل الذي يُشدّ به مجرى النَّفس ؛ حتّى يموت الإنسان مخنوقا ، فيرخى له الخناق لتعود الأنفاس إليه ، وهي كلمة تفيد شدة الكرب الذى نزل بالقوم ، فصاروا بحاجة لمن ينفِّس عنهم ما هم فيه ، ثم اختياره كلمة " **رجاليا**" للإشعار بأنه كان مسئولا عن كلِّ الناس ، وفى هذا تعريض بالقوم ، فالرجل عاش من أجلهم ، ثم هم الآن يردون الإحسان جحودا .



ثم توالت الحسرات على مضى ، فختم قصيدته بقوله :

ولم أسبإ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقل ... لأيسار صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ ناريا

البيت يمضي فى طريق سابقه ؛ من إفادة الفخر بما كان يفعله ؛ من شراء الخمر ليقدّمها للضيف ، ويأمر الأيسار ــ الذين يشاركونه لعب الميسر ــ أن يشعلوا نارا يهتدي بها السائرون ، فيأتون إليه للإكرام.

أوّل ما يقابلك فى البيت التعبير بالمضارع المنفي ، وهو أجود وأبلغ في هذا المقام من الماضي الصريح ؛ لما سبق من إفادة تجدد هذا القول منه ، فما انقطع كرمه قط ، ولما فيه من استحضار للصورة ، فيأنس بها ويتسلى عما فيه ، والبيت اشتمل على كنايتين عن كرم الشاعر ؛ الأولى فى قوله :" **ولم أسبإ الزِّقَّ الرَّوِيَّ**" ، وهي كناية عن إكرامه جلساء الشراب ، فالرجل كان يشتري الخمر لا لتجارة وإنّما ليكرم بها جلساءه ، والثانية فى قوله :" **ولم أقل ... لأيسار صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ ناريا**" ، وهي كناية عن كرمه ، فإشعال النار ليراها الضيف من بعيد فيأتي إليها دليل كرمه ، يقول الدكتور جواد علي :" وقد كان من عادة الأجواد إيقاد النار فى الظلام ليراها الغريب والمحتاج والجائع من مسافة بعيدة فيفد إليها، فيجد له من يقريه ويقدم له ما يحتاج إليه من طعام. ويقال لها "نار القرى" و "نار الضيافة". وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بها

على المنزل، وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة، لتكون أشهر. حتى زُعـم أن منهم من كان يوقدها بالمندلي (١) الرطب، ليهتدي إليها العميان، بشم رائحة الطيب التى تفوح منها عند الاحتراق. وهي من أجل الأعمال عند العرب. وقـد ذكرت فى الشعر الجاهلي."(٢)



وبلاغة الكنايتين السابقتين تتمثل فى تصويرهما مشهد الإكـرام وجعلـه بارزا ، فقد أرتك الكناية

صورة الرجل وقد اشترى الخمر وسقاها الجالسين ، وصورة النار مشـتعلة ، وكأنها قبلة للسائرين.

ثم تأمل دقة الرجل في اختياره كلمة " لأيسار صِدْقٍ " ، والأيسار هـم القـوم يجتمعون على الميسر ، ففيها نكتتان ؛ الأولى : الدلالة على الترف الذي كـان ينعم به ، وما يتبع ذلك من الندم على تلك الأوقات التي كان يقضيها مع هؤلاء الأيسار ، والثانية : المبالغة في بيان حرصه على الكرم ، فالذي يؤمر بإعظـام النار هم الأيسار ، ودلالة حرصه على الكرم يتمثل في أن الرجل لا يشغله عن نار القرى شاغل ؛ فهو الآن في مجلس أُنس بأصحابه ، يشـربون الخمـر ، ويلعبون الميسر ، فهو قمة فى اللذة وتمام النّشوة ، وربما ينسى من كان فـي مكانه أن يكرم ضيفه ، أمّا هو فلا ، إنّه الحرص الشديد على أن يكرم الضيف.

ثم تأمل دقّته في اختيار كلمة "أعْظِمُوا " دون غيرها مما يقـوم مقامهـا ؛ نحو أشعلوا ضوء ناريا وهكذا ، إنّ ماجاء به عبد يغوث فيه إشارة إلى شـدة

(١)المنْدَلِيُّ :العُود الهِنْدَيُّ الرطب الذي يتبخربه ، ينظر اللسان : مندل .

(٢)المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ١٧٣/٨ ، الناشـر: دار السـاقي ،الطبعـة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حرصه على أشعال عظيم للنار حتّى يراها كلّ الناس ، إنّ اللفظة التي أتى بها فيها إشارة عظم تلك النّار ، فيبصرها البعيد والقريب ، فلا يتخلف عن كرمـــه أحد .



عبد يغوث يحتذي امرئ القيس في البيتين السابقين :

ذكرت فى صفحات سبقت من هذا البحث أن أبا تمام والمتنبي والتابغة الجعدي وغيرهم قد أخذوا من عبد يغوث ، وفى هذين البيتين الأمر مختلف ؛ فقد أخذهما عبدُ يغوث من امرئ القيس ، ذكر هذا القاضي عليّ عبد العزيز الجرجاني في حديثه عن السرقات الشعرية ؛ حيث قال :" ولا تعدّ المعنى مأخوذاً حتى يجيء مجيء ....قول امرئ القيس:(١)

كأني لم أركَب جَواداً للذّةٍ ... ولم أتبطّنْ كاعِباً ذاتَ خَلخالِ

ولم أسْبأ الزِّقَّ الرّوي ولم أقل ... لخيْلي كُرّي كرّةً بعد إجفالِ

وقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

كأني لم أركبْ جَواداً ولم أقل ... لخيلي كُرّي نفّسي عن رِجاليا

ولم أسبأ الزّق الرويّ ولم أقل ... لأيْسارِ صدْقٍ عظّموا ضوْءَ نارِيا

وذكره أيضا البغدادي ؛ فبعد أن ذكر بيتي امرئ القيس السابقين قال :" أخذهما عبدُ يَغُوث الجاهلي وأودعهما فِي قصيدة قَالَهَا بعد أَن أسر فِى يَوْم الْكلاب الثَّانِي وَلم يرد عَلَيْهِ مَا ورد على امْرِئ الْقَيْس وهما"(٢) ، أي أخذهما عبد يغوث من امرئ القيس ولم يأخذهما منه أحد .

الأخذ فى البيتين بيّن ، لا يحتاج إلى دليل ، وهذه هي المرة الوحيدة التى أجد فيها عبدَ يغوث يأخذ من غيره ، على خلاف ما سبق ، وهذا دليل على أن

---

(١) ينظرالوساطة بين المتنبي وخصومه ١٩٥

(٢) خزانة الأدب ٣٢٩



السرقات الشعرية داء قد لا يسلم منه أحد ، وبالنظر فى قول الشـاعرين نجـد قول امرئ القيس انفرد بذكر المرأة فى قوله :" **ولم أتـبطّنْ كاعِبـاً ذاتَ خَلخـالِ**" وهو قول وإن كان فى غاية الفحش ، ـ ولست بصدد هذا الحديث الآن ـ ، إلا أنّه مما يحسب له أنّه جاء بمعنى زائد لم يأت به عبد يغوث ، والأبيات عددها واحد عند الرجلين ، فكلامه أكثر فائدة من قول الثاني .

إلاّ أنّ بيتي عبد يغوث أحكم وأشد تلاؤما من قول امرئ القيس ؛ فالأصل فى الشعر أن تأتي أبياته متناسقة ، فيقارب الشاعر بين المعاني ، ولا يجعل المصراع الثاني بعيدا عن الأول ، ليس بينهما نسب يجمعهما، يقول ابن طباطبا ت٣٢٢هـ :" ويَنْبَغِي للشَّاعر أنْ يتأمَّلَ تأليفَ شِعْرِهِ، وتَنْسِيقَ أبياتِـهِ، ويَقِـفَ على حُسْنِ تجاوُرِهاَ أَو قُبْحِهِ فيُلائمُ بَينهَا لتَنتْظمِ لَهُ مَعَانِيها ويَتَّصِلَ كَلاَمُه فِيها، ولَا يَجْعَل بَين مَا قَدِ ابتَدَأَ وَصْفَهُ وبَين تَمامهِ فضلا من حَشْوٍ لَيْسَ مـن جِـنسِ ماهو فِيهِ فَيُنسِيَ السَّامِعَ المَعْنَى الَّذِي يَسوقُ القَولَ إِلَيْهِ. كَمَا أَنه يَحْتَرِزُ مِنْ ذَلك فِي كُلَّ بَيْتٍ فَلَا يُبَاعِدُ كَلِمَةً عَن أختْها، ولَا يَحْجِزُ بَينهَا وبَـين تَمامِهـا بِحَشْـوٍ يَشِينهَا. ويَتفَقَّدُ كلَّ مِصْرَاعٍ هَلْ يُشَاكِلُ مَا قَبْلَهُ فَرُبَّما اتَّفَقَ للشَّاعر بيتانِ يَضَـعُ مِصَراع كلَّ وَاحدٍ مِنْهُمَا فِي مَوضع الآخر، فلاَ يَتَنبَّهُ على ذَلِك إلاَّ مَنْ دَقَّ نَظَرُه ولطفَ فَهْمُهُ. "(١)

وحسن الملاءمة ، وتناسق المجاورة التى يتحدث عنها ابن طباطبـا عنـد عبديغوث أفضل من امرئ القيس ؛ حيث جمع عبد يغوث فى البيت بين الشيء وما يتفق وينسجم معه ، فالبيت الأوّل جعله كلّه للحديث عن الشجاعة ، فجعل

---

(١)عيار الشعر ٢٠٩ ، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة

المصراع الأوّل متفقا مع الثاني فى معناه ، فهو أقرب به رحما ، وأعلــق بــه نسبا ؛ فركوب الجواد يتناسق مع كرِّ الخيل للتنفيس عن رجاله هكذا :

كأني لم أركبْ جَواداً ولم أقل ... لخيلي كُرّي نفّسي عن رِجاليا

فلا تشعر أن أحد المصرعين بعيد عن الآخر ، ثمَّ جاء البيت الثاني فجعله كلَّــه فى الكرم ، فقال :

ولم أسبأ الزّق الرويّ ولم أقل ... لأيْسارِ صدْقٍ عظِّموا ضوْءَ نارِيا

فجاءت معانية متلاحمة ، الأوّل من الثاني والثاني من الأوّل ، فإكرام الجليس بتقديم الخمر له ، ليس ببعيد عن لعب الميسر ، فالمجلس فيهما واحد ، والكرم عنوانهما جميعا .

أمّا قول امرئ القيس فالأمر مختلف ؛ حيث جمع فى البيت الأول بين معنيين مختلفين ، فجمع بين ركوب الجواد وتبطن الكاعب ذات الخلخــال ، فــالمعنى الثاني من الأول بعيد ، والذي يناسب المعنى الأول أن يأتي بما جاء بــه فــى البيت الثاني فكان يقول:

كأني لم أركَب جَواداً ولم أقل ... لخيْلي كُرّي كرّةً بعد إجفالِ

ثم يأتي بالمعني الثاني؛ تبطن الكاعب ذات الخلخال متفقا مــع شــرب الخمــر فيقول:

ولم أسْبأ الزِّقَّ الرّوي للذّةٍ ... ولم أتبطّنْ كاعِباً ذاتَ خَلخالِ

وقد أشار إلى هذا ابن طباطبا ؛ فبعد أن ذكر قول امرئ القــيس قــال :" وهَما بَيْتَانِ حَسَنَان، ولَو وُضِعَ مِصْرَاعُ كُلَ واحِدً مِنْهَا فِى مَوضِع الآخــر كــانَ

أشكَلَ وأدْخَلَ فِى استواءِ النَّسج، فكانَ يُرْوَى:[(١)]

كأني لم أركَب جَواداً ولم أقل ... لخيْلي كُرّي كرّةً بعد إجفالِ

ولم أسْبأ الزِّقَّ الرّوي للذّةٍ ... ولم أتبطّنْ كاعِباً ذاتَ خَلخالِ

وقد أخذ أبوهلال العسكري هذا الكلام من ابن طباطبا دون إشارة إليه ثم زاد :" لأنّ ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل أجود، وذكر الخمر مع ذكر الكواعب أحسن."[(٢)] ، وكذلك فعل التوحيدي في البصائر والذخائر ؛ فقد أخذ قول ابن طباطبا لكنه لم يزد عليه شيئا [(٣)] .

وحكم عليهما أسامة بن منقذ بالفساد ؛ إذ يقول :" هذا فاسد، لأنه جعل الغزل مجاوراً للشجاعة فى البيتين، والأجود مجاورة الشجاعة للشجاعة والغزل للغزل، فيقول:[(٤)]

كأني لمْ أركبْ جواداً ولم أقلْ ... لخيلي: كري كرةً بعد إجفالِ

ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ للذةٍ ... ولم أتبطنْ كاعباً ذات خلخالِ

هذا والمنهج العلمي يقتضى أن نذكر ما للشاعر وما عليه ، فلا نذكر قول أهل العلم السابق فى بيتي امرئ القيس ونسكت ، فيكون الحكم لصالح عبد

---

(١) السابق

(٢) الصناعتين ١٤٥

(٣)البصائر والذخائر ٧/٨٩

(٤)البديع في نقد الشعر ١٤٨، بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي .

يغوث ، لأنه لم يقع فيما وقع فيه امرؤ القيس ، وقد حاول البعض أن ينتصر لامرئ القيس ، ويدفع التقصير عنه ، فهذا ابن طباطبا يجعل هذا الخلل من جهة رواية الشعر ونقله ، وأن الرواية الصحيحية هي التى تنسجم فيها المعاني، يقول: "ورُبَّما وَقَعَ الخَلَلُ فِى الشَّعر من جِهَةِ الرُّواةِ والنَّاقلينَ لَهُ فَيَسمَعونَ الشّعرَ على جِهَتِهِ ويؤدُّونَهُ على غَيرِهَا سَهْواً، ولَا يَتَذَكّرون حَقيقةَ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ كقولِ امرِيء القَيسِ:



كأني لمْ أركبْ جواداً ولم أقلْ ... لخيلي: كري كرةً بعد إجفالِ

ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ للذةٍ ... ولم أتبطنْ كاعباً ذات خلخالِ

هَكَذَا الرَّواية."(١) ، فهذه هي الرواية المثلى عنده ، وأن الأولى من عمل الرواة.

وإذا كان ابن طباطبا يجعل هذا من خلط الرواة ، فإنّ النهراواني المتوفى ٣٩٠هـ يجعل الرواية الفاسدة عندهم ، قد وصلت فى البلاغة الغاية ؛ حيث غفل من عاب قول امرئ القيس عن قوله:"**للذة**"، فبيّن أنّ الجواد يركب للحرب والقتال وكذلك للهو والمتعة وغير ذلك ، والركوب الذى تحدث عنه امرؤ القيس هو ركوب اللهو والمتعة ، وهذا ينسجم مع الغزل وتبطن الكاعب ذات الخلخال، فلا يكون قد باعد بين المعنيين ، يقول النهراوني :" .....تَعلم أَن تَرْتِيب امرىء الْقَيْس فِى هذَيْن الْبَيْتَيْنِ من أصح التَّرْتِيب وَأحسنه، وأوضح التَّأْلِيف وأبينه، وَأَنه متسقٌ مستَتَبّ..... ، وَأَنه من أحسن الشُّعَرَاء...... إِن الْجواد يُركب لأغراضٍ شَتَّى، مِنْهَا الْمُحَاربَة وشّنُّ الْغَارة وإدْراك الْعَدو والهارب،

---

(١) عيار الشعر ٢٠٩

وفوت الثائر الطَّالِب، وَطلب الأوتار وَأخذ الثأر، والتماس الْمَعيشَة والبرهان وزيارة الإخوان ومجاراة الأقران، والسبق والنِّضال، والتدرب بالفروسية والقتال،........ ومِنْهَا القصدُ لضروب اللَّهْو والْمُتعة، والنشاط والرَّتَعة، والالتذاذُ باخْتِيَالِ الْجواد وقطعه الجدد، فالركوب الَّذِى قصد امْرُؤ الْقَيْس بقوله: كَأَنِّي لَمْ أركب جوادًا، إِنَّمَا عَنَى بِهِ بَعْضَ مَا فِيهِ التذاذ ومُتعة، ولَهو ورتَعَة، وَقَدْ أبان ذَلكَ بقوله: للذة، فَكَانَ من أليق مَا يَلِيهِ، ويقرن بِهِ مَا جانسه فِى التَّمَتُّع وَاللَّهْو، إِذْ لَمْ يَكُنْ ركُوبه للغارة والغزو فَلذَلك قَالَ: وَلَم أتبطَّنْ كاعبًا ذات خلخال......... وأمّا قَوْله: " وَلَم أسبأ الزق الروي فَإِنَّهُ قد يسبأ زق الْخمر للنادم واللذَّة، والارتياح والنشوة، وَقَدْ يُسْبأ للْبيع وَالتِّجَارَة ولإهدائه إِلَى ذِى الْمُرُوءَة لتحريك الطبائع بشُرْبه عَلَى تذكر الأضغان والغَمْر، وتهيج الْحِقْد وَطلب الْوتر، وَالْجد فِى الْقيام بالثأر، وتجرئة الجبان، وتنشيط الْجنان، والسماحة فِى إِدْرَاك الشّرف بالنفوس، وبذْل كُلّ عِلْقٍ مضنةٍ نفيس، وَأَرَادَ امْرُؤ الْقَيْس بِمَا سبأه من الْخمر هَذِهِ الْمعَانِي أَوْ مَا أَرَادَ مِنْهَا، فَكَانَ اللَّائق بقوله: وَلَم أسبأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ أَن يَكُون عجز بَيته هَذَا مَا وَصفه فِى قَوْله: وَلَم أقل لخيلي كُرِّي كَرَّةً بعد إجفال "(١)



وقد سلك ابن رشيق مسلك النهرواني السابق ؛ فجعل ترتيب امرئ القيس السابق من أفضل الترتيب وأحكمه ، وأن الترتيب الذى جاء به ابن طباطبا

---

(١) ينظر الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ٣٨٩، ٣٩٠، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

وغيره لا ينهض بالمعنى المسوق له الكلام [١]

بعد هذا العرض لكلام أهل العلم نقف على مايأتي :



أنّ امرأ القيس سَبَق إلى هذين البيتين ، وجاء قوله أكثر فائدة من قول الحارثي ؛ حيث زاد فيه غرضا ــ وهو الحديث عن المرأة ــ ولم يتحدث عنه عبد يغوث ، ولعل المقام الذي كان فيه الرجل من الأسر وانتظار القتل هو الداعي لهذا ، أيضا عندما راودته العبشميه أعرض ، وذكر زوجه مليكة ، ولو ذكر النساء بعد ذلك كان تناقضا فى القول .

بيتا امرئ القيس لم يسلما من نقد أهل العلم ؛ ما بين قائل بقبح المجاورة، وبُعْدِ الملاءمة ، والتنافر بين معانيه ، وإن ردَّ البعض هذا وانتصر لترتيبهما كما سبق بيانه ، أمّا قول عبد يغوث فلم يكن فيه شيء من هذا ، فسلم من الطعن ، فتناسقت معانيه وتلاحمت .

علاقة الخاتمة بالمطلع:

بالتأمل فى مستهل هذه القصيدة وخاتمتها نجد تناسقا بينهما ، ورابطا يربط بدايتها بنهايتها ، وبيان ذلك فى مايأتي :

استهل عبد يغوث قصيدته بالنهي عن اللوم ، وبيان أنّ اللوم لا خير فيه ، ثم بيّن أنّ الملامة نفعها قليل ، فقال :

ألاَ لا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا ... وما لَكُما في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا

ثم ختم قصيدته بقوله :

---

(١) ينظر العمدة ٢٥٨

كأني لم أركبْ جَواداً ولم أقل ... لخيلي كُرّي نفّسي عن رِجاليا

ولم أسبأ الزّق الرويّ ولم أقل ... لأيْسارِ صدْقٍ عظِّموا ضوْءَ نارِيا



ببيان شجاعته ، وإكرامه جلساءه ، ثم ذكّرهم بتلك النار التى كانت قبلة للزائرين ، أبعد هذا كلِّه يلام الرجل ؟، كما أنّ فى تذكيرهم بنار القرى التى يهتدي بها النّاس تنبيها لهم ؛ لعلهم يهتدون بكلامه ؛ فيهبوا لنجدته ونصرته ، ثم إنّ ختم القصيدة بما يدل على الكرم تعريض ببني عبد شمس ، لعلهم يتأثرون ويكرمونه .

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خيرخلقه أجمعين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فبعد تحليل قصيدة عبد يغوث بن الحارث الجاهلى تمخضت الدراسة عن نتائج تتمثل فى عدة أمور :

الأوّل : تميّزت القصيدة بسهولة ألفاظها ؛ فلا تجد فيها كلمة غريبة ، كما جاء أسلوبها سهلا رقيقا ، وكأنّك تقرأ لشاعر ليس من أهل الجاهلية ، كما تميّزت القصيدة بكثرة الصور البيانية فيها ؛ من استعارة وكناية وتشبيه ؛ ولعل تفسير هذا يرجع إلى ما تتميز به هذه الأسالب من قدرة على تجسيد للمعنوي ، وتقريب للبعيد وجعله حاضرا ، وهذا ملائم لحاله ؛ فالرجل كان أسيرا بعيدا عن وطنه ، يشعر بقرب أجله ، فكان بحاجة إلى أن يسترجع ذكرياته الجميلة ، فأخذ ينسج على منوال هذه الأساليب صورا رائعة ، تسلّيه عما فيه ، وتعيد إليه زمنا جميلا قد ولّى.

كما برع من خلال أسلوب الكناية أن يجسّد كرمه وشجاعته ، فأخذ يتغنى بهاتين الصفتين ؛ تسلية عما نزل به ، وتعريضا بمن خذله ، وترك نصرته ونجدته .

الثاني : من الملاحظ أنّ المحسنات البديعية في هذه القصيدة قليلة جدا ؛ وتفسير ذلك يرجع إلى أنّ الرجل كان أسيرا مقيدا ، ينظر إلى الموت بعينه ، ومن كان هذا حاله فليس عنده وقت أو طاقة لاستحضار محس بديعي دون طائل ، إنّ الذى نزل به يشغله عن هذا ، فهو بحاجة إلى أن يتسلى عن واقعه الأليم ، ويفخر بمجده القديم .ولن يجد أفضل من صورة بيانية ، تجسّد

المعقول ، وتقرب البعيد ، وترسم صورا جميلة لزمن مضى يتسلّى به عما كان فيه .



الثالث : أثبتت الدراسة أنّ عبد يغوث أُخذ منه فى خمسة مواضع ، وهي كما جاءت فى البحث :

١ــ قوله:

ألاَ لا تَلُومَانِي كَفى اللَّوْمَ ما بِيَا ... وما لَكُما فى اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا

ألَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُها ... قليلٌ وما لَوْمِي أخِي مِن شِمَالِيَا

أخذه صخر بن عمرو بن الشريد فقال :

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول: ألا تهجو فوارس هاشم ... وما لي إذا أهجوهم ثم ما ليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

٢ــ قوله:

ولكِنَّني أحْمِي ذِمارَ أبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال :

هَوادٍ لأملاكِ الجيوشِ كأنها ... تخيّرُ أرواحَ الكُماةِ وتنتقي

٣ــ قوله:

ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي مِن الْخَيْلِ نهدة ... ترى خَلْفَها الحُوَّ الْجِيَادَ تَوَالِيَا

ولكِنَّنِي أحْمِي ذِمارَ أبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا

أخذه أبو تمّام فقال:

وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فَردَّه ... إليه الحفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

ونفسٍ تَعاف العارَ حتَّى كأنه ... هو الكفرُ يوم الروع أوْ دونه الكفرُ

٤ــ قوله :

وكنْتُ إِذا ما الْخَيْلُ شَمَّصهَا القَنَا ... لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا

أخذه المتنبي فقال :

نصرِّفُه للطّعْنِ فوقَ حواذِرٍ ... قدِ انقصفَتْ فيهنّ منهُ كِعاب

٥ــ قوله :

وعادِيَةٍ سوم الجراد وزعتها ... بِكَفِّي وقد أنْحَوْا إِليَّ العَوَالِيَا

أخذه النابغة الجعدي فقال:

وعاديةٌ سوم الجرادِ وزعتها ... فكلفتها سِيداً أزل مصدّراً

وقد تمّت مناقشة هذه الأمور كلّها فى مواضعها من البحث ، فقارنت بين الأقوال ؛ لأقف على موطن الإجادة ، وموطن التقصير ؛ لنحكم بالصواب للرجل أوعليه .

الرابعة: أثبت الدراسة أنّ عبد يغوث الحارثي أَخذ من غيره فى موضع واحد ؛ حيث أخذ من امرئ القيس قوله :

كأني لم أركَب جَواداً للذّةٍ ... ولم أتبطّنْ كاعِباً ذاتَ خَلخالِ

ولم أسْبأ الزِّقَّ الرّوي ولم أقل ... لخيْلي كُرّي كرّةً بعد إجفالِ

فأخذه وقال :

كأني لم أركبْ جَواداً ولم أقل ... لخيلي كُرّي نفّسي عن رِجاليا

ولم أسبأ الزّق الرويّ ولم أقل ... لأيْسارِ صدْقٍ عظّموا ضوْءَ نارِيا



وذكرت قول أهل العلم فى ذلك ، وبيّنت وجه الإجادة ، ووجه التقصير .

هذا وتدعو الدراسة الباحثين أن يولوا وجوههم قبل الشعر العربي ، ولا يقفوا عند المشهورين فقط ؛ فهناك من المغمورين من لا يقل شعره جودة عن المشهورين ؛ وبذلك نقدّم للعربية جديدا.فالدراسة التى مضت أظهرت شاعرا مغمورا من شعراء الجاهلية ، لكنه فحل من فحولها .

أسأله ــ تعالى ــ أن يوفّق أبناء العربية لما فيه الخير ، وأن يغفر لنا تقصيرنا ، وأن يستر عيوبنا ، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، إنّه نعم المولى ونعم النّصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

ثبت المصادر والمراجع

١ــ إعجاز القرآن ، للباقلاني ، المحقق: السيد أحمد صقر ، الناشر: دار المعارف – مصر ، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م .

٢ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام ، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣ــ الأعلام ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشرة ،٢٠٠٢م.

٤ــ الأمالي ، لأبي علي القالي ،عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي ، الناشر: دار الكتب المصرية ، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م.

٥ــ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين ، لأبي البركات، كمال الدين الأنباري ، الناشر: المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦ــ بحوث ومقالات في اللغة ، الدكتورمضان عبد التواب ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٥.

٧ــ البديع في نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.

٨ ــ البرصان والعرجان والعميان والحولان ،الناشر: دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ

٩ـ البصائر والذخائر ،المحقق: د/ وداد القاضي ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٠ـ البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١١ـ البيان والتبيين ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

١٢ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية.

١٣ـ تهذيب اللغة , المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

١٤ـ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م .

١٥ـ التشبيهات، لابن أبي عون ، عُنِي بتصحيحه : محمد عبد المعيد خان ، طبع في مطبعة كامبردج.

١٦ـ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٧ـ حماسة القرشي ، المحقق: خير الدين محمود قبلاوي ، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق ، الطبعة: (بدون) ، ١٩٩٥ م .



١٨ـــ الحيـــوان ، الناشـــر: دار الكتـــب العلميـــة – بيـــروت ، الطبعـــة: الثانية،١٤٢٤هـ .

١٩ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي، القـاهرة ، الطبعـة: الرابعـة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٠ـ كتاب دلائل الإعجاز المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهـر ، الناشـر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعـة: الثالثـة ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م .

٢١ـ رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الناشـر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٢٢ـ سر صناعة الإعراب ، الناشر: دار الكتب العلميـة بيـروت-لبنـان ، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠.

٢٣ـ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت ، الناشر: المكتبة الأهلية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .

٢٤ـ شرح أدب الكاتب ، لأبي منصور ابن الجواليقى (المتوفى: ٥٤٠هـ) ، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت .

٢٥ـ شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، المحقق: غريـد الشـيخ ، وضـع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيـروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٦ـ شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ، الناشر: دار القلم – بيروت .



٢٧ــ شرح ديوان المتنبي ، للعكبري ، المحقــق: مصــطفى الســقا/إبــراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت .

٢٨ــ شرح ديوان المتنبي ، للواحدي ،طبعة شركة القدس ، القاهرة ، تاريخ النشر ٢٠١٠م.

٢٩ــ شرح شافية ابن الحاجب ، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبــد القــادر البغدادي صاحب خزانة الأدب ، حققهما، وضبط غريبهما، وشــرح مبهمهمــا، الأساتذة: ، محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربيةمحمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية ، محمد محيى الدين عبد الحميــد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هــ – ١٩٧٥م

٣٠ــ شعراء النصرانية ، جمعه ووقف على طبعة وتصــحيحه: رزق الله بــن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هــــ) ، الناشــر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت

عام النشر: ١٨٩٠ م .

٣١ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق: أحمــد عبــد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هــ – ١٩٨٧ م .

٣٢ــ الصناعتين ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبــراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، عام النشر: ١٤١٩ هــ .

٣٣ــ عيار الشعر ، ابن طباطبا، الحسني العلوي، المحقق: عبد العزيــز بــن ناصر المانع ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣٤ــ العقد الفريد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .

٣٥ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل ، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

٣٦ــ العين ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،الناشر: دار ومكتبة الهلال .

٣٧ــ في الأدب واللغة ، الدكتور أحمد هيكل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٨ــ في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، الناشر: مكتبة دار التراث ، الطبعة: طبعة دار التراث الأول ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

٣٩ــ الكامل في التاريخ ،عز الدين ابن الأثير ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٤٠ــ الكامل في اللغة والأدب ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٤١ــ الكتاب ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٤٢ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

٤٣ــ لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ

٤٤ــ اللطائف والظرائف ، للثعالبي ، الناشر: دار المناهل، بيروت .





٤٥ــ مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، المحقق: محمد فواد سزگين ، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨١ هــ .

٤٦ــ مصرع فارس فى بلاد الغربة ، الأستاذ الدكتور زكريا عبد المجيد عبد الهادي ، مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ــ ١٤٢٣هــ .

٤٧ــ معجم الشعراء ، للمرزباني ، بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢ هــ – ١٩٨٢ م .

٤٨ــ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للبكري ، الناشر: عالم الكتب، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هــ

٤٩ــ مفاتيح الغيب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هــ .

٥٠ــ مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هــ – ١٩٨٧ م .

٥١ــ مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩هــ – ١٩٧٩م.

٥٢ــ من أسرار العطف في القرآن ، الفاء ، ثم ، الأستاذ الدكتور : محمد الأمين الخضري ، الطبعة : الأولى ١٤١٤هــ ــ١٩٩٣م ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة.

٥٣ــ المخصص ، ابن سيده المرسي ، المحقق: خليل إبراهم جفال ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هــ ١٩٩٦م



٥٤ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين، ابن الأثير ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ، عام النشر:١٤٢٠ هـ

٥٥ــ المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ابن قتيبة ، المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ) ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن بالهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م].

٥٦ــ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور: جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)

الناشر: دار الساقي ، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٧ــ المفضليات ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة .

٥٨ــ المقتضب ، لأبي العباس بالمبرد ، المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة. ، الناشر: عالم الكتب. – بيروت .

٥٩ــ نسب معد واليمن الكبير ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ)

المحقق: الدكتور ناجي حسن ، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٦٠ــ نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد الأندلسي ، المحقق: الدكتور نصرت عبد الرحمن ، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان – الأردن .

٦١ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .



محتويات البحث



